فلسفة الأخلاق عند الملحدين الجدد

"دراسة نقدية"

إعداد الدكتور

أحمد جمال أحمد إسماعيل

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

القاهرة - جامعة الأزهر

فلسفة الأخلاق عند الملحدين الجدد
"دراسة نقدية"

أحمد جمال أحمد إسماعيل
قسم أصول الدين، عقيدة وفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنـــين، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
البريد الإلكتروني: ahmedismail.4@azhar.edu.eg

الملخص:

هدفت الدراسة إلى نقد التصور الإلحادي المتعلق بالمسألة الأخلاقية، وترسيخ القيم الأخلاقية الدينية وتثبيتها؛ تقويمًا لسلوك الإنسان وتعديلًا لمساره، بحيث يعود إلى الطريق السوي الذي رسمه الدين الإسلامي، وتم استخدام المنهج النقدي في معالجة هذه المسألة، وسبر أغوار قضاياها ومسائلها، ومن أهم نتائجها:

- أظهر الملحدون الجدد عجزًا حقيقيًّا عن الإجابة على السؤال الوجودي للأخلاق رغم كثرة محاولاتهم، وتعرضوا لوابل من السخرية وسيل من الازدراء؛ نتيجة للأسلوب الوقح المتدني الذي جعل أقرانهم يصفونهم بأنهم سفسطائيون مزيفون للحقائق.
- تكمن خطورة النظرية الإلحادية الجديدة في اعتقادها بأمرين: الأول: هو أن الإله وهم، والثاني: هو أن العلم وحده قادر على الإجابة على الأسئلة الأخلاقية. وبناء على هذين الأمرين آلت الأخلاق عندهم إلى مجرد وقائع علمية تمليها عليها القوانين الطبيعية، أو الحتميات العضوية أو الاجتماعية، على الرغم من استحالة تقديم رؤية فلسفية للجانب الأخلاقي تحت مظلة هذه

الرؤية المادية؛ إذ البحث في هذا الجانب ميتافيزيقي بحت متجاوز الإطار المادي بما فيه، لا دخل فيه للإنسان أو لعلوم الإنسان؛ لذلك باءت المحاولة الإلحادية في تأسيس الأخلاق الموضوعية المطلقة بالفشل الذريع.

- حُصرت الأخلاق عند هؤلاء الملاحدة في تحقيق اللذات وإشباع النزوات بدون تفرقة بين رغبات الأفراد أو الجماعات؛ فأنتجت لنا إنساناً قلقًا متشائمًا آمن بإنكار كل شيء من أجل لا شيء.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق – الملحدون الجدد – ريتشارد دوكنز – سام هارس.

The Philosophy of Morality among the New Atheists A Critical Study.

Ahmed Gamal Ahmed Ismail

Department of Fundamentals of Religion, Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies Boys Branch, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

E-mail: ahmedismail.4@azhar.edu.eg

Abstract:

The study aims to criticize the atheistic perception of the ethical issue, and to deeply enroot and stabilize religious moral values; with the aim of assessing human behavior and adjusting its course back to the right path established by the Islamic religion. The critical approach is used to address this topic, and to explore its critical points and issues, the most important of which are:The new atheists have shown a real inability to answer the existential question of morality despite their many attempts, and they have been subjected to a barrage of irony and contempt; as a result of the lowly, rude manner because of which their peers described them as false sophists. The gravity of the new atheism theory lies in the belief in two things: first, that God is an illusion. Second, science alone can answer ethical questions. On the basis of these two principles, their morality has become mere scientific facts dictated by natural laws, or by organic or social necessities, although it is not possible to present a philosophical view of the moral aspect under the umbrella of this material vision. Research on this aspect is purely metaphysician and goes beyond the material framework, the

human beings or human sciences are not able to deal with; therefore, the atheistic attempt to establish objective and absolute ethics has failed. According to new atheists, ethics have been confined to the pursuit of self-pleasure and the satisfaction of freaks without distinguishing between the desires of individuals or group. The result is a pessimistic worried human being who believes in the denial of everything for the sake of nothing.

Keywords: Ethics, New Atheists, Richard Dawkins, Sam Harris.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فلمّا كانت رؤية الملحدين للكون والحياة قائمة على فلسفة ماديّة مجرّدة لا تؤمن إلا بها، وأن ليس للإنسانِ إلا أحد اختيارين: إما الإيمان بالعلوم الطبيعيَّة التجريبيَّة، وما تُفضي إليه من حقائق، أو الوقوع في فخ الخُرافة والجهل؛ كان أكثر ما يشكّل تحديًّا أمام الفكر الإلحاديّ الجديد (New Atheism) هو تأسيس خطابٍ لمعالجة المسألة الأخلاقية يكون بديلًا للأخلاق الدينيّة، وسبب ذلك يكمن في أنّ الأخلاق أمرٌ غيبيّ يتجاوز مقاييس المادة واعتباراتها، ولا يمكن إخضاع أحكامه لمناهج البحوث الماديّة، وهو ما يتعذر معه إقامة فلسفة أخلاقيّة تخضع للعلوم التجريبيّة ومقاييسها.

ومع ذلك؛ فقد حرص أصحاب هذا الفكر على ردّ الأخلاق إلى العالم الماديّ بمختلف أشكاله وصورِه، وجعلوها نسبيّة متغيّرة، تختلف من شخص لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن مجتمع لآخر، الأمر الذي أدّى في النهاية إلى التّنكر لأية معايير موضوعيّة يمكن للإنسان أن يحتكم إليها.

وفي الحقيقة فإنّ موقف الملحدين من المسألة الأخلاقيّة أمرٌ يملؤه التناقض والضّعف؛ فعند مناقشة السؤال الوجوديّ (أو الأنطولوجي) للأخلاق، وهو السؤال المتعلق بوجود القيم الأخلاقيّة من عدمها، نراهم يعمَدون إلى تجاوزه لمناقشة السؤال المعرفيّ (أو الإبستمولوجي) وفروعه، (كيف يمكن أن نتعرف على حسن الأخلاق من قبيحها؟ وهل من سبيل للتعرف عليها خارج نطاق الدين أم لا؟ وهل يمكن أن تساعدنا العلوم الطبيعيّة في حل هذا الإشكال العميق؟)

ويظلّ السؤال الأنطولوجي – كما هو – معلقًا ينتظر الجواب، وفي الحقيقة سيبقى عندهم بلا جواب، وهو ما يمثّل مأزقًا حقيقيًا للفلسفة الإلحاديّة.

ومن ثمّ اضطر بعض الملحدين الجدد إلى تأليف عددٍ من البحوث والدراسات في محاولة منهم لمعالجة ذلك المأزق الخطير الذي انحدروا إليه، لكنّها جميعًا تحيد عن موطن الإشكَال، وتظهر عجزًا حقيقيًا عن الإجابة على أسئلة هذا الملف؛ إذ تقر تصورًا داروينيًّا في تفسير المسألة الأخلاقية، وهي ـــــ وإن لم تصرح بشكل صريح ــ تكاد تقول: إنّه لا وجودَ لشيء اسمه قيم أخلاقيّة مطلقة..، وذلك كمحاولة مايكل شرمر[١] في كتابه: (علم الخير والشر)، أو روبرت هايند[٢] في كتابه: (لماذا الجيد جيد؟)، أو مارك هاوزر [٣] في كتابه: (عقول أخلاقيّة)[٤].

وقد نتج عن تلك المحاولات فوضى أخلاقيّة ضربتْ أوصال المجتمعات الغربية وغيرها، فشَاع الفسق، وعمّ الغش، وراجَ الكذب، وأصبح كلّ ذلك

---

(١) مايكل شرمرMichael Shermer: ولد سنة ١٩٥٤م، أستاذ الاقتصاد بجامعة كلاريمونت، مهتم بالفلسفة والعلوم، يرأس تحرير مجلة skeptic (خرافة الإلحاد، د. عمرو شريف، (ص٢٩٢)، مجلة الشروق الدولية، ط/ ١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

(٢) روبرت هايند Robert Hinde: عالم حيوان إنجليزي، وأستاذ في الجمعية الملكية بجامعة كامبريدج، وُلد سنة ١٩٢٣م، وحصل على الدكتوراه من جامعة أوكسفورد عام ١٩٥٠. (ويكيبيديا).

(٣) مارك هاوزر Marc Hauser: ولد سنة ١٩٥٩م، أحيائي وأستاذ جامعي وعالم نفس أمريكي، (ويكيبيديا).

(٤) ينظر: ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، (ص ١٥٠-١٥١)، تكوين للدراسات والأبحاث، ط/ ٢، ١٤٣٥-٢٠١٤م، شموع النهار إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي، عبد الله بن صالح العجيري، (ص٥٩)، (ص٦١-٦٢)، مكتبة مؤمن قريش، ط/ ١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

وغيره من الرذائل سمة العصر الذي نحياه، وذلك بسبب رؤية هؤلاء للإنسان على أنه مزوّد بطبيعة تتميز ببعض المطامح، فليس عليه إلا أن يقوم بمعرفة نفسه، ويستشعر ما يريد حقيقة؛ ليستخلصَ قواعد للسّلوك يطبقها في حياته؛ حتى يصل إلى ما يريد الوصول إليه(١)، فكانت النتيجة اضطرابًا وحيرة في الأنفس، والتباسًا وإيهامًا في الأفهام عند كثير من النّاس.

لذلك كانت الضّرورة ملحّة لترسيخ وتثبيت القيم الأخلاقية؛ تقويمًا لسلوك الإنسان وتعديلًا لمساره، بحيث يعود إلى الطريق السّوي الذي رسمه الدين الإسلاميّ، ومن ثمّ كتبتُ هذا البحث، وهو بحث يُعنى بنقد التّصور الإلحاديّ المتعلق بالمسألة الأخلاقيّة، وإثبات أنّ للقيم الأخلاقية الإسلاميّة تميزها المتمثل في مضامينها المشتملة على كلّ ما فيه الخير والصلاح في كلّ زمان ومكان، وقد جاء البحث بعنوان:

فلسفة الأخلاق عند الملحدين الجدد "دراسة نقدية"

إشكالية البحث: إن إشكالية البحث تدور حول الأخلاق ومصدرها، و**المعايير والضوابط التي تجعلنا نحكم بأن هذا الفعل أخلاقيّ وذاك غير أخلاقيّ؟ وهل يمكن تقديم رؤية فلسفية أخلاقية في ضوء رؤية تستبعد وجود الله** ﷻ؟ وهل يمكن تأسيس خطاب أخلاقيّ جديد يكون بديلًا للأخلاق الدينيّة؟

منهج البحث: اقتضت طبيعة البحث أن أسلك المنهج التحليليّ النقديّ في معالجة إشكالية البحث، وسبر أغوار قضاياه ومسائله.

خطة البحث: جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمراجع، وآخر للموضوعات.

---

(١) يراجع: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، (ص ١٢٨)، ترجمة: عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكري، دار الشعب–القاهرة، ١٩٧٩م.

أما **المقدمة**، ففيها أهمية البحث وإشكاليته ومنهجه وخطته.

وأما **التمهيد**: فجاء بعنوان: **نشأة الإلحاد الجديد، وأبرز أعلامه.**

وأما **المبحث الأول**، فعنوانه: **الأخلاق في الفلسفة الإلحادية.**

وأما **المبحث الثاني**: فعنوانه: **مصدر الأخلاق عند الملحدين الجدد.**

وأما **المبحث الثالث**: فعنوانه: **معيار الأخلاق عند الملحدين الجدد.**

وأما المبحث الرابع: فعنوانه: مآلات فلسفة الأخلاق عند الملحدين الجدد.

وأما **الخاتمة** ففيها أهم نتائج البحث.

ثم أتبعت ذلك بثبت للمراجع وآخر للموضوعات.

والله أرجو السداد والقبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد

نشأة الإلحاد الجديد، وأبرز أعلامِه

مصطلح الإلحاد ليس مصطلحًا جديدًا على الفكر الإنساني، فلقد تبلور هذا المصطلح من خلال بعض الفلسفات القديمة، التي ما لبثت أن استأثرت بمعنى محدد اصطلح عليه أصحابه باسم (الإلحاد الجديد)، وهو ما يُعنى به هذا البحث.

أولاً: نشأة الإلحاد الجديد:

خلَّفت حادثة ١١ من شهر سبتمبر سنة ٢٠٠١م[١] ردّة فعل كبيرة في تشجيع الملحدين على القيام بدور تبشيريّ كبير بالمضامين الإلحاديّة، وكان لذلك بالغ الأثر في تفجير الموجة الإلحاديّة الجديدة المعادية للدين والمتدينين، وقد احتاج الأمر إلى بعض الوقت ليظهر حجم ذلك الأثر الذي ولّدته هذه الحادثة في إثارة الملاحدة، حيث كان الخطاب الإلحاديّ يميل إلى نوع من المهادنة من المتدينين، ولم يكن لديه تلك الحماسة الكبيرة لممارسة التبشير بقضية الإلحاد، والسبب في ذلك يرجع إلى أن قضية الإيمان كانت قضية شخصية لا تثير الملاحدة كثيرًا، وكان لسان حالهم يقول: ما دام هذا المتدين لم يكسر لي رجلًا أو يفقأ لي عينًا فليؤمن وليتدين كيف شاء، ولكن منذ هجمات ١١ سبتمبر تغير

(١) هي مجموعة هجمات شهدتها بعض مدن الولايات المتحدة الأمريكية يوم الثلاثاء الموافق الحادي عشر من شهر سبتمبر سنة ٢٠٠١م، حيث تم تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية، وُجهت لتصطدم بأهداف محددة، وقد نجحت ثلاث منها في استهداف برجي مركز التجارة الدولية الواقعة في (مانهاتن) ومقر وزارة الدفاع الأمريكية، المعروف باسم (البنتاغون)، بينما سقطت الرابعة بعد أن استطاع ركّاب الطائرة السيطرة عليها من يد الخاطفين لتغيير اتجاهها، مما أدّى إلى سقوطها وانفجارها في نطاق أراضي ولاية (بنسيلفانيا). (ينظر: موقع ويكيبيديا (هجمات ١١ سبتمبر) بتاريخ ٢٠٢٢/٩/٢٧م، وميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٦٣ -٦٦).

الأمر برمّته، وتراجع الموقف الحيادي من الفكرة الدينية بشكل كبير، وترسّخ في وعي معظم الملاحدة أنّ قضية الإيمان أصبحت تمثل تهديدًا حقيقيًا للبشرية، وأن الإلحاد لا بد أن ينتقل من كونه كلاسيكيًّا إلى كونه إلحادًا متشددًا معاديًا للدين؛ لذا بات من المتعين عليهم اليوم السعي في استئصال الدين ومبدأ التدين، وإحلال قضية الإلحاد كحلّ بديل وخيار منقِذ (١).

ونتيجة لذلك فقد ظهر مصطلح (**الإلحاد الجديد**)، وهو مصطلح صاغه الصحفي (**جيري وولف**) في مقالة بعنوان "كنيسة غير المؤمنين" نشرها سنة ٢٠٠٦م في مجلة (وايرد البريطانية Wired magazine)؛ ليُطلق على تلك الأفكار التي طرحها بعض الكُتّاب الملحدين المعاصرين، والتي تتبنى أنه مَن لم يكن معهم فهو ضدهم، والتي تقرر أنه لا يكفي التعايش بين الدين والإلحاد، بل لا بد من مهاجمة الألوهيّة والمفاهيم الدينيّة وطرْحها للتحليل العلميّ والموضوعيّ، فتبنّوا التفسيرَ الماديّ لكل الظّواهر، بداية من نشأة الكون حتى مشاعر الإنسان الروحيّة (٢).

هذا بالإضافة إلى تبنّيهم أسلوب الهجوم والسخرية والانتقاص، فأطلقوا على أنفسِهم اسم The Brights (يعني: اللّامعون–السّاطعون–المشرِقون–المتألّقون–الأذكياء..)، مما يشير إلى أن الآخرين – يعني: المتدينين – هم (الخافتون – المعتمون – البليدون – الداكنون – المُظلمون – وربما الأغبياء)، حيث لا مكان إلا لسلطتهم الذاتيّة التي من خلالها فقط يخلَعون على أنفسهم الألقاب الرنّانة، فهم اللطفاء وغيرهم الأجلاف، هم الإنسانيّون

---

(١) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٢١، ٢٣)، وطلاسم نجسة الإلحاد وإهانة الجنس البشري، محمد الهبيلي، (ص ٣١، ٣٦)، مداد للنشر والتوزيع–دبي، ٢٠١٧م.

(٢) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٧)، خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣٠، ٣٥٩)، طلاسم نجسة، مرجع سابق (ص٣٠).

وغيرهم المتوحّشون، هم العلماء وغيرهم الجهلة، هم المتنورون وغيرهم المظلمون...[١].

كما استخدموا لغةً شديدة العدائيّة للدين، ولقضية الإيمان بالله ﷻ، وتجذّر لديهم فكرة أنّ الدين شرٌ كله، وأنه لا يمكن أن يصدر عنه إلا الشّر، وبخاصة الدين الإسلاميّ، فقد صرّح **كريستوفر هيتشنز**[٢] بأن المؤمنين يخططون لتدميرنا بطرائقهم المختلفة، وتدمير كل المنجزات المستحقة للبشرية، الدين يسمم كل شيء [٣].

لذلك يمكن القول بأنه ليس الجديد في الإلحاد الجديد عدوانيّته ووقاحته، أو الترويج له إعلاميًّا، أو التناول العلميّ للدين، ولكن أشد الجديد ظهورًا هو مهاجمة الممارسات والشعائر الإسلامية، بل مهاجمة الإسلام ذاته [٤].

وفي مقابل تأكيد هؤلاء الملاحدة المستمر على أنّ الدين مصدر ومنبع لكل الشرور، فليس بمستغرب من هؤلاء تبرئة الإلحاد والملاحدة من جميع صور الشرور، فلا قتل ولا عنف ناتج عنه!! فقد صرح **دوكنز** بأنّه لا دليل مطلقًا على أنّ الإلحاد يقوم بأي دور في تحريك الناس نحو الأفعال القبيحة أو المشينة [٥].

---

(١) ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٦)، طلاسم نجسة، مرجع سابق (ص٤٨).

(٢) كريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens: الكاتب والإعلامي وأستاذ الدراسات الحرة في نيويورك، ولد سنة ١٩٤٩م، وتوفي سنة ٢٠١١م. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣٣).

(٣) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٤٤)، الله ليس عظيما (ص١٣).

(٤) ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣٥٩)، وهم الإلحاد، أ.د/ عمرو شريف، (ص ٢٩)، تقديم أ.د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر المحرم سنة ١٤٣٥ه.

(٥) ينظر: وهم الإله، ريتشارد دوكنز، (ص ٢٧٣)، ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٦٦). لقد تناسى هؤلاء أن عددًا من الملاحدة قد ارتكبوا جرائم كثيرة ذهب ضحيتها ملايين البشر، مثل: ستالين وموسوليني وغيرهما، فهذا ريتشارد شروىدر (أستاذ الفلسفة في برلين) يسخر من ادعاءات دوكنز، فيقول: "إن الكاتدرائيات المقدسة أعلى من أن=

وهكذا انطلق كهنة الإلحاد الجديد في تسميم العقول، فعقدوا لذلك البرامج والمحاضرات والمؤتمرات، وكان من أشهرها ذلك المؤتمر الذي عقدتْه مؤسسة (سالك Salk) في كاليفورنيا عام ٢٠٠٦م، والذي جاء بعنوان: (ماذا بعد الإيمان: العلم – الدين – العقل – الحياة؟)، وقد انتهى المؤتمر إلى صياغة عدد من المفاهيم التي ينبغي أن تؤسس وتنطلق منها ممارسات وأعمال الإلحاد المعاصر، وهذه المفاهيم هي:

١–أنّ الدين وهمٌ خطير، يؤدي إلى العنف والحروب.

٢–أنّه ينبغي التخلص من الدين، وسيقوم العلم بهذه المهمّة.

٣–أنّنا لا نحتاج إلى إله لنكون على خُلُق؛ فالإلحاد يمكن أن يكون منطلقًا قويًا للأخلاق [١].

وقد قامتْ هذه المفاهيم على كتابات وأبحاث ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بين عامي ٢٠٠٤–٢٠٠٧م لمجموعة من الملحدين، الذين أصبحوا نجومًا إعلامية، لها حضور شعبيّ طاغ، وقد راجتْ كتاباتهم رواجًا كبيرًا بالرغم من تواضع ما طرحتْه من حججٍ وبراهين، واحتلت قوائم أعلى المبيعات؛ بسبب جودة الأسلوب، ووضوح الأفكار، ومباشرة الطّرح، وسحْر العبارة [٢].

=تجرفها الجرافات، لذلك فضل ستالين في الاتحاد السوفيتي وماوتسي تونج في الصين تفجيرها بالديناميت". (ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٠٨)، الإلحاد يسمم كل شيء، د. هيثم طلعت، (ص٣٨)، تقديم/ عبد الباسط قاري، نيو بوك–القاهرة، ط/ ١، ٢٠١٥م).

(١) ينظر: وهم الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣٠–٣١).

وقد اعتبرت مجلة The New Scientist هذا المؤتمر له أهمية كبيرة، حتى إنها في عددها الخاص بمناسبة مرور خمسين عامًا على إصدارها نشرت مقالًا عن المؤتمر بعنوان "البديل عن الإله In Place Of God". (ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٦).

(٢) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٢٥ وما بعدها)، وهم الإلحاد، مرجع سابق (ص ٢٨–٢٩).

ثانيًا: أبرز أعلام الإلحاد الجديد:

ومن أشهر أعلام المدرسة الإلحادية الجديدة تلك المجموعة التي أُطلق عليها اسم (الفرسان الأربعة (The Four Horsemen) [١]، والتي تضم كلًا من:

١- **ريتشارد دوكنز** [٢]: أيقونة الإلحاد الجديد، وداعيته الأشهر، صاحب كتاب **(وهْم الإله) (the God Delusion)**، أحد أكثر الكتب إثارة للجدل في المجال العقديّ الغربيّ في السنوات الماضية، قال عنه **دوكنز**: "إذا عمل هذا الكتاب كما أردتُ له، فالقرّاء المتديّنون الذين سيفتحونه سيكونون ملاحدة بمجرد فراغِهم منه"[٣].

يعالج الكتاب قضية وجود الله ﷻ، والذي يعتبره **دوكنز (وهْمًا)**، وبما أن الإله وهْمٌ فالقيم الأخلاقية المطلقة وهْمٌ، بل الإنسان بمكوناته الروحيّة مجرد وهْمٌ.

ظلّ هذا الكتاب على رأس قائمة (النيويورك تايمز) للكتب الأكثر مبيعًا لأسابيع، وظلّ على القائمة لأكثر من سنة، وقد بلغتْ مبيعاته أكثر من مليوني نسخة باللغة الإنجليزيّة خلال أربع سنوات فقط، وطُبع طبعات أخرى كثيرة [٤].

---

(١) لقب الفرسان الأربعة: ظهر هذا اللقب عقب اجتماع انعقد سنة ٢٠٠٧م في شقة (كريستوفر هيتشنز) بواشنطن بحضور كل من (دوكنز وسام هارس ودانييل دينت وهيتشنز) للتباحث حول الإلحاد، وبعد وفاة (هيتشنز) أقيم لقاء ثان وسط جمهور حافل في (أستراليا)، وحلت (آيان هرسي) كبديل عن هيتشنز ولقبت بالفارسة الرابعة (The Fourth Horsewomen). (ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٧٩).

(٢) ريتشارد دوكنز Dawkins Richard: بيولوجي بريطاني، ولد بكينيا سنة ١٩٤١م، كان يشغل منصب أستاذ تبسيط العلوم في جامعة أكسفورد. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٣).

(٣) ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٢٤).

(٤) ينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٨٤).

وله أيضًا: كتاب (الجين الأناني)، وكتاب (صانع الساعات الأعمى) وغير ذلك.

كما قدّم **دوكنز** الكثير من المؤتمرات والمحاضرات، بالإضافة إلى عدد من الأفلام الوثائقيّة التي تعالج قضايا الإلحاد بشكل مباشر، تحت سلسلة له بعنوان: (جذر الشرور كلّها) The Root of All Evil، ويقصد بهذا الجذر: (الدين والإيمان) [١].

كتب دوكنز مقالة في (الجارديان البريطانية) بعد أربعة أيام فقط من حادثة ١١/ ٩ يقول في آخرها: إن ملء عالَم بالدين، أو بأديان كالأديان الإبراهيميّة، هو تمامًا كملء الشوارع بالمسدسات المحشوة بالرصاص، لا تتعجب إذا ما تمّ استعمالها، كما أجاب في محاضرة له بعنوان **(ميليشيات الإلحاد)** عن سؤال: كيف غيرتك أحداث ١١ من سبتمبر؟ بقوله: إليكم كيف غيرتْني: لنتوقف جميعًا عن هذا التصنع المَقيت في إبداء الاحترام ــ يعني: للأديان.

وقد أسفر **دوكنز** عن هذا الوجه القبيح للإلحاد حين أعلن عام ٢٠١٢م أن أحداث ١١ سبتمبر قد حولته من ملحد مسالم إلى ملحد أصولي ضد الإسلام [٢].

٢- **سام هارس** [٣]: أحد أقطاب الإلحاد الجديد، صاحب أول كتاب في سلسلة الإصدارات الإلحاديّة المتتالية، بعنوان: (نهاية الإيمان الدين، الإرهاب، ومستقبل

---

(١) ينظر: ميليشيا الالحاد، مرجع سابق (ص٨، ٢٥، ٤٣)، طلاسم نجسة، مرجع سابق (ص٣٠).

(٢) ينظر: وهم الإلحاد، مرجع سابق (ص٢٢)، (ص ٢٩)، خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٨).

(٣) سام هارس sam Harris: ولد في الولايات المتحدة سنة ١٩٦٧م، المختص في مجال علوم الأعصاب. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٣)، (٣٦٧).

العقل)، وهي كتابة نقديّة للدين بشكل عام، وكيف أنها تشكّل معوقًا كبيرًا عن التفكير العقلاني وحاضنًا للممارسات الإرهابيّة، وأنها – أي: الظاهرة الدينية – السبب في تخليق مشكلة المخدرات في أمريكا – على حد زعمه –.

وقد ابتدأ تأليفه في الثاني عشر من شهر سبتمبر، أي: في اليوم التالي مباشرة من وقوع تلك الحادثة، وصدر سنة ٢٠٠٤م، وصرّح في أكثر من مناسبة في ثنايا هذا الكتاب وخارجه بأن الباعث الأول لتأليفه هو تلك الحادثة، ومن ذلك مقطع مرئي له على اليوتيوب تحت عنوان: (سام هارس.. رحلة نحو الإلحاد انطلقت شرارتها بسبب ٩/١١).

هذا، والكتاب كان في قائمة أكثر الكتب مبيعًا في الولايات المتحدة، واستمر على القائمة لمدة ٣٣ أسبوعًا.

ولـ **سام هارس** مؤلفات أخرى تعالج قضايا متعددة في ضوء رؤيته الإلحادية، ككتاب (الإرادة الحرة)، وكتاب (رسالة إلى أمة نصرانية)، وكتاب (المشهد الأخلاقي.. كيف يمكن للعلم التجريبيّ أن يحدّد القيم الإنسانيّة؟) [١].

٣- **دانييل دينيت**[٢]: هو مؤلف كتاب (كسر السحر.. الدين كظاهرة طبيعية (Breaking the spell: Religion as a Natural phenomenon)، ويعالج الكتاب مدى إمكانية تقديم تفسير ماديّ للظاهرة الدينية في الحياة الإنسانية، والتأكيد على أنّها قابلة للدراسة تحت لواء العلوم الطبيعية التجريبية، وبيان مستقبل تلك الظاهرة، ومدى إمكانية التخلص منها [٣].

---

(١) ينظر: نهاية الايمان، سام هارس (ص ١٦٠، ٣٣٣)، ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٢٢، ٢٥، ٢٧، ٦٤)، طلاسم نجسة، مرجع سابق (ص ٣٠).

(٢) دانييل دينيت Daniel Dennett: فيلسوف أمريكي ملحد، ولد في بوسطن سنة ١٩٤٢م، وصف نفسه بأنه فيلسوف، لا إله له. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣٣).

(٣) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٢٦).

٤- **كريستوفر هيتشنز**: هو مؤلف كتاب (الله ليس عظيمًا.. كيف يسمم الدين كل شيء؟ God is Not Great: How Religion Poisons Every Thing)، أشهر كتبه وأكثرها ارتباطًا بموضوع الإلحاد، يهاجم المؤلف من خلال هذا الكتاب الأديان بشكل عام في محاولة منه لربطها بالشرور والعنف والجهل...، وقد انتشر الكتاب انتشارًا واسعًا، وتصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعًا، كما ترجم إلى العديد من اللغات المختلفة.

ولـــ كريستوفر كتب أخرى في نفس المجال، من أشهرها كتاب: (الملحد المحمول.. قراءات ضرورية لغير المؤمنين)، وكتاب: (هل النصرانية جيدة للعالم؟) (١).

هذا، وقد ألحق بهؤلاء "الفرسان الأربعة" مجموعة أخرى، منهم:

- **الفيزيائي لورانس كراوس** (٢) الذي حاول أن يقنع قرَّاءه بأن العلوم الفيزيائية الحديثة تؤكد أن الكون قادر على إحداث نفسه من العدم...، وقد استعان **دوكنز** بآرائه كثيرًا في برامجه الإعلامية (٣).
- **فيكتور ستنجر** (٤): مؤلف كتاب (الله الفرضية الفاشلة God: The failed Hypothesis)، ويقدّم الكتاب رؤية إلحاديّة لسؤال وجود الخالق في ضوء العلوم الطبيعيّة التجريبية – على حد دعوى المؤلف – (٥).

---

(١) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٢٦، ٢٧)، خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٢٧٠).

(٢) لورانس كراوس (Lawrence M. Krauss): وُلد ١٩٥٤م، فيزيائي وعالم فلك أمريكي كندي، يعمل كأستاذ جامعي في كلية استكشاف الأرض والفضاء في ولاية أريزونا الأمريكية. (ويكيبيديا).

(٣) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٩٥).

(٤) فيكتور ستنجر Victor Stenger: ولد سنة ١٩٣٥م، وتوفي سنة ٢٠١٤م، أمريكي مختص في فيزياء الجسيمات، وفيلسوف وكاتب. (ويكيبيديا).

(٥) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٢٦).

- **ستيفن وينبرج** [١] الذي رأى أن العالم لا بد أن يفيق من كابوس الديانات الذي طال! وأنه ينبغي على العلماء أن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل التخفيف من قبضة الدين، وأن هذا سيكون العطاء الأكبر للحضارة الإنسانية [٢].

هؤلاء هم أبرز روّاد الإلحاد الجديد، ويُلاحظ أنهم "ذوو تخصّصات مختلفة، وهذا الاختلاف والتنوع أسهم في مزيد من التأثير والانتشار، وخلق فضاءات متعددة للتأثير"[٣].

نقد لاذع للملاحدة الجدد:

هذا، وقد كانت ردود الأفعال تجاه هؤلاء قويّة وعنيفة، فقد تعرّضوا لهجوم شرس ونقد لاذع من جانب بعض الملاحدة الذين انتقدوا الخطاب الإلحاديّ الجديد، والحالة المتطرّفة والمفرطة في العدوانية تجاه الدين والمتدينين، وعدم الاهتمام أو الجدية في تفهّم الموقف الدينيّ والتعرف على حججِه وبراهينه، والدخول في دائرة جدل حقيقيّ معه، ومن هؤلاء:

- **(مايكل روس)**[٤] الذي وصف سطحيّة كتاب (وهم الإله) وحركة الإلحاد الجديدة بقوله: لقد كتبتُ بأن كتاب «وهم الإله» جعلني أشعر بالخجل من كوني ملحدًا، دعني أقولها مرة أخرى، ودعني أقول: إنني أفخر أن أكون محل طعن الملاحدة الجدد؛ إنهم كارثة حقيقية، وأريد أن أكون في الصف الأمامي لمن يقول هذا [٥].

---

(١) ستيفن وينبرج Steven Weinberg: ولد سنة ١٩٣٣م، وتوفي سنة ٢٠٢١م، عالم الفيزياء النظرية الأمريكي، الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء مشاركة مع محمد عبد السلام الباكستاني وشيلدون جلاشو. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٠٧)، (ويكيبيديا).

(٢) ينظر: وهم الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣١).

(٣) ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٢٧).

(٤) مايكل روس Michael Ruse ملحد إنجليزي دارويني، ولد سنة ١٩٤٠م، فيلسوف العلوم المتخصص في فلسفة البيولوجيا. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٢٠).

(٥) ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٥٦).

- ويعترض **جون همفري**[١] على الملاحدة الجدد، فيذكر أن أكثر الأشياء التي استرعت انتباهه هو تعصبهم العقائدي المقيت الذي يصبغ كلّ ملاحظاتهم واستنتاجاتهم، وانطلاقهم في إلحادهم من نقص معرفيّ فظيع [٢].
- ويستنتج **الملحد (أتش آلن أور)**[٣] بعد قراءته لكتاب (وهم الإله) أنه معيب بشدة، واصفًا دوكنز بأنه في الحقيقة مجرد هاو؛ إذ فشل فشلًا ذريعًا في مناقشة الأفكار الدينية بجديّة وعمق[٤].
- ويعترض **(سكوت آترن)**[٥] على طريقة مكافحة سام هارس ومن يوافقه في رغبتهم في تخليص العالم من المعتقدات الدوغمائية التافهة والخاطئة؛ إذ يرى أنها غالبًا ما تكون بلا قاعدة علمية، وتنمّ عن جهل ذاتي، وسطحية معرفية شديدة، بالإضافة إلى أنها تأتي بنتائج عكسية لأهدافهم المشتركة التي يبغون الوصول إليها [٦].
- ويصف **بيرلنسكي**[٧] كتابَ **سام هارس** "رسالة إلى أمة نصرانية" بأنه ليست فيه أية مادة فكريّة [٨].

---

(١) جون همفري John Humphrey: مذيع برنامج بالإذاعة البريطانية BBC بعنوان همفري باحثًا عن الإله. (ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣٠٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص ٣٠٩).

(٣) أتش آلن أور H.Allen orr) بروفسور البيولوجيا المهتم بالوراثة بجامعة روشستر بالولايات المتحدة. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٢٠).

(٤) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٥٨).

(٥) سكوت اتران Scott Atran : ولد سنة ١٩٥٢م فى نيويورك، درس فى جامعة كولومبيا. عالم الإنثربولوجيا. (ويكيبيديا).

(٦) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٥٧).

(٧) ديفيد بيرلنكسي David Berlinski: ولد سنة ١٩٤٢م، فيلسوف أمريكي حصل على الدكتوراه من جامعة برينستون، ودرس الفلسفة والرياضيات في جامعات الولايات المتحدة وفرنسا، وعضو سابق في معهد تحليل النظم التطبيقية ومعهد الدراسات العلمية العليا (ويكيبيديا).

(٨) ينظر: وهم الشيطان الإلحاد ومزاعمه العلمية، ديفيد بيرلنسكي، (ص٢٩)، ترجمة/ عبد الله الشهري، مركز دلائل، ط/ ١، ١٤٣٧ه.

وقصارى القول: إذا كان الملحدون الجدد جيديّن في الخطابات؛ فإنّهم لم يقدّموا حالة عقلانيّة منظمة، أو حججًا قاطعة جديدة ضد الدين والإيمان بالله ﷻ، وكثيرًا ما نُقدت مواقفهم وكتاباتهم من قِبل الفلاسفة والمفكرين والمعجبين الذين تعاملوا معهم؛ بسبب العدائية الشديدة من جانبهم، والأسلوب الوقح المتدنّي الذي جعل أقرانهم ينفضون من حولهم، ويصفونهم بأنهم مجرد ملاحدة هواة سفسطائيون مزيفون للحقائق(١).

وانطلاقًا ممّا سبق؛ فإنّه يمكن توصيف تلك الظاهرة الإلحادية الجديدة بـــ (ميليشيات الإلحاد) كما أطلقها بعض الباحثين(٢).

١) ينظر: نفسية الإلحاد، د/ بول سي فيتز، (ص ١١٢-١١٣)، ترجمة/ مركز دلائل، ط/ ٢، ٢٠١٣م، خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣٥٦).

٢) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٦٣ -٦٦).

المبحث الأول

الأخلاق في الفلسفة الإلحادية

إنّ الناظر إلى الأخلاق في المجتمع الإنسانيّ يجد أنها تمثّل معاقد الترابط الاجتماعيّ بين الناس، وأسس قوانين العدل الحامية لحقوقهم، ولمّا كان الأمر كذلك كان من مهام أصحاب الفكر المغلوط والمذاهب الفلسفية الهدّامة الرامية إلى تدمير المجتمعات المتماسكة أن يبذلوا كلّ ما يستطيعون من جهد ومكر وكيد لتدمير الأخلاق وقوانين العدل المبنية عليها في هذه المجتمعات، فاستخدموا في ذلك كلّ الوسائل المتاحة لديهم من توجيه الأكاذيب والافتراءات، وبثّ الأفكار والآراء المشحونة بالزيوف والمغالطات؛ لزلزلة أسس وقواعد الأخلاق [١].

وعلى هذا المنهاج سار الملحدون الجدد بفضل تصوراتهم الماديّة للكون والحياة، وإنكارهم وجود الله ﷻ، فعدم وجود الله ﷻ يستدعي عدم وجود القيم المعقولة، وعدم وجود الخير بصورة قبلية...؛ لأننا نصير حيال وجود إنسانيّ صرف لا دخل فيه لوجود الله ﷻ، أو لقيم مصدرها الله ﷻ [٢]، وبالتالي لم يعد هناك أيّ مبرر لأن يضع لهم منظومتَهم الأخلاقيّة، وارتبطت بمصالح البشر الماديّة العاجلة.

فهذا **دوكنز** يدّعي أنه ليس هناك إله، ولسنا بحاجة للدين لنكون أخلاقيين، وأنه يمكننا تفسير جذور الدين والأخلاق بطريقة لا دينية [٣].

---

(١) ينظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصر، عبد الرحمن حبنكة، (ص١٩٩)، دار القلم، دمشق، ط/ ٢، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(٢) ينظر: الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، (ص ٢٥)، ترجمة: عبد المنعم الحفني، الدار المصـــرية، ط/ ١، ١٩٦٤م.

(٣) ينظر: وهم الإله، مرجع سابق (ص ٢٨١)، ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ٥٣).

ويذكر **ويل بروفاين**[١] أن الأمر يبدأ أولًا بالتخلي عن الإيمان بالله، ثمّ التخلي عن الأمل بحياة بعد الموت، ومن ثمّ فإن بقية الأمور تأتي تدريجيًّا، حيث نفقد الأمل بأنّ هناك مبادئ أخلاقيّة مطلقة...، فقط نعيش، ونموت، ونفنى، نفنى بشكل نهائي حين نموت [٢].

وحينئذ رفعوا شعار "**إذا كان الإله غير موجود فكلّ شيء مباح**"[٣] فسخّروا عقولهم لخدمة شهواتهم وملذاتهم، واعتمدوا منهجًا مقطوع الصّلة عن الدين لبناء فكر أخلاقيّ جديد، سوّغ لهم الانغماس في الشهوات والفجور والجرائم، حتى "صاروا كالبهائم، بل أضل منها وأخس، مرجتْ أخلاقهم، وذهبتْ عهودهم، واستباحتْ كلّ محرّم، وانطلقوا في شهوات الغيّ، لا يثنيهم عنها دين ولا خُلق، ولا حياء من الله ﷻ ولا من خلقه" [٤]، فهدموا موضوعية الأخلاق وحكموا بذاتيتها، وأخضعوها للإنسان، باعتباره ـــــ في نظرهم ـــــ مقياس كلّ شيء خيره وشره.

والحقيقة أنّ هذه النظرة المغالية المنكرة لوجود الله ﷻ قد تسبّبت في خلل منهجيّ كبير في البنية المعرفيّة للإلحاد، فالإيمان بوجود إله متصف بالكمال المطلق يتيح مصادر تُقدم أساسًا قويًّا لوجود القيم الأخلاقية الموضوعية، وإدراك الكمالات المطلقة وما يضادها من النقائص، وبغير الإيمان بالله ﷻ تتلاشى هذه

---

(١) ويل بروفاين: بروفيسور تاريخ علم الأحياء في جامعة (كورنيل).

(٢) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٧٥)، شموع النهار، مرجع سابق (ص٨٤).

(٣) ينظر: الإلحاد بين قصورين، حقيقة الإلحاد بين القصور الأخلاقي والقصور المعرفي، ترجمة مناظرة ويليام لان كريغ وسام هاريس، (ص١٩)، ترجمة د. مؤمن الحسن، د. عبد الله الشهري، مركز دلائل-الرياض، ط/ ٢، ١٤٣٧هـ.

(٤) ينظر: الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ص٥٨)، الرياض ١٩٨٢م.

الرؤية تمامًا، الأمر الذي يؤدي إلى أن يكون المعيار الأخلاقي نسبيًّا متعددًا بتعدد الأفراد والمجتمعات [١].

إنّ مشكلة القيم الأخلاقية عند هؤلاء الملاحدة أعمق من مجرد الاختلاف حولها حسنًا وقبحًا، أو الاختلاف في وسائل التعرف على الحسن منها وفرزه عن القبيح، بل هي مشكلة تمتد لتصل إلى مستوى السؤال عن وجود تلك القيم الأخلاقيّة المطلقة، والذي يجعل من الصدق –مثلًا–قيمة أخلاقية حسنة، كما يجعل من الظلم قيمة أخلاقية سيئة مطلقًا بغض النظر عن وجود الإنسان، الأمر الذي يكشف عن إحساسنا بوجود قيم متجاوزة لوجودنا ولذواتنا [٢]؛ وتلك من المعاني الفطرية التي يجدها الإنسان من نفسه ضرورة: تلك النزعة الأخلاقية الراسخة، التي يميز من خلالها الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة، وليس هذا فقط، بل ويجد من نفسه إدراكًا ضروريًّا بأن لهذه القيم الأخلاقية معانيَ موضوعية، تعطي لهذه الأخلاق قيمتها الحقيقيّة بعيدًا عن اعتبارات النسبية والذاتية، فهي حقائق موضوعية متجاوزة للوجود الإنساني والمادي[٣].

---

(١) ينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٥٩)، الإلحاد بين قصورين، مرجع سابق (٢١-٢٢).

(٢) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٤٨)، شموع النهار، مرجع سابق (ص٧١).
وفي تعليقه على هذا المأزق الأنطولوجي للأخلاق، يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "الفلسفة الهيومانية في الغرب، بتأكيدها للقيم الأخلاقية المطلقة ومقدرة الإنسان على تجاوزِ واقعِه الطبيعي/المادي وذاتِه الطبيعية/المادية، تعبير عن الإله الخفي وعن البحث غير الواعي مِن قِبَل الإنسان المادي عن المُقدَّس، فمثل هذه القيم، ومثل هذه المقدرة، ليس لهما أساس مادي" (العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د/ عبد الوهاب المسيري، (١٨٩/١)، دار الشروق، ط/ ١، ١٤٢٣-٢٠٠٢م).

(٣) ينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٥٧).

لذلك فإن الممارسات الأخلاقية الصادرة من المتدينين أكثر اتساقاً مع رؤيتهم الكونيّة التي تؤمن بوجود القيم الأخلاقية الموضوعية المطلقة، وأن ممارستهم اللاأخلاقية غير متسقة مع هذه الرؤية الدينية، بخلاف الملحدين فإن ممارستهم الأخلاقية الحسنة غير متسقة في الحقيقة مع رؤيتهم الكونية العدمية التي لا تتضمن الحكم على القيم الخلقية بوصف الإطلاق [١].

وثمة مشكلة أخرى تكمن في أن الملاحدة اليوم يقدمون أنفسهم باعتبارهم (إنسانيين هيومانيين)، ويظهرون قدرًا من الصّلابة الأخلاقية في خطاباتهم تجاه ما يعتقدونه صوابًا أو خطأ، ولكن دون أن يوضّحوا القاعدة التي ترتكز عليها هذه الصّلابة، وإذا ما أرادوا التوضيح:

- فإمّا أن يقعوا في إشكاليّة التبرير النّفعي للأخلاق، والذي يفقدها قيمتها.
- أو يقعوا في تقرير نسبيتها بما يفقدها قيمتها المطلقة، ويفقدهم مبرر هذه الحماسة الكبيرة التي يعبرون بها عن رؤاهم الأخلاقية، الأمر الذي يوحي للمتلقي أنهم يؤمنون بقيم أخلاقية مطلقة، يجب على الجميع أن يلتزم بها، لكنهم في الحقيقة عاجزون تمامًا – في ظل نظرتهم المادية للوجود ــ عن إيجاد أي مبرر لوجود تلك الأخلاق في نفس الأمر[٢].

الحقيقة التي لا يمكن أن ينكرها كلّ ذي عينين أن القول بذاتية الأخلاق قد أدّى إلى فوضى أخلاقية في المجتمعات، فطالما "أنه لا يمكن أن يكون هناك معيار للحكم على قانون أخلاقي معين بأنه أفضل أو أسوأ من الآخر، أو أعلى منه أو أدنى، فلن تكون هناك عندئذ أسس سليمة لتقويم السلوك، فيما عدا اتفاقه

(١) ينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٠).

(٢) ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٤٩)، وينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٨-٦٩).

مع العرف المحلي/الفردي أو القومي/الجماعي...، وإذا كان سلوك الرجل الشرقيّ صوابًا ما دام يتفق مع المعايير الشرقية، وسلوك الرجل الغربيّ صوابًا ما دام يرضي أمزجة الغربيين، فعندئذ يمكن القول أن الالتجاء إلى التعذيب في العصور الوسطى كان صوابًا، وأن المحاولات التي بذلت لإبطال عادة الهنود في دفن الأرامل بعد موت أزواجهن محاولات خاطئة"(١).

فهذا المذهب بحق مذهب غير إنساني؛ وذلك لأنه ينظر إلى مساعي الإنسان (٢) على أنّها محض خيالات؛ فالمبرر الوحيد لأي شيء يتمثل في وجوده سواء سميناه خيرًا أو شرًا؛ لذا نجد هذا الإنسان لا يدخر جهدًا في تحصيل ملذاته التي لا يعرف غيرها، وشهواته التي لا يرجو السعادة في شيء سواها قبل أن يطبق عليه العدم – كما يتصور–، ولا يمكن لهذا الإنسان أن يؤدي أي خدمة للبشرية تكون على حساب مصالحه الشخصية، وإن فعل ذلك قوّض مذهبه الذي يعتقده، وبدّد فكره الذي يؤمن به (٣).

هذا، والأمثلة على تلك الفلسفة الانحلاليّة العدمية التي ترفضها كل الشرائع السماوية والفطر السليمة كثيرة ومتعددة، وقد جرت عليهم وابلًا من السخرية وسيلًا من الازدراء، من ذلك:

– ما ارتآه **ريتشارد دوكنز** من أنّ الخيانة الزوجية ليس فيها شيء أبدًا من منظور الطبيعة الحيوانية، بل وتساءل: لماذا كل هذه الهواجس حول الإخلاص

---

(١) ينظر: الفلسفة أنواعها ومشاكلها، هنتر ميد، (ص ٢٧٢)، ترجمة فؤاد زكريا، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط/ ٢، ١٩٧٥م.

(٢) كحاجته للعدالة وشعوره بالواجب ومفهوم القيم والاعتقاد بوجود الله ﷻ .

(٣) ينظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، (ص ٢٠٢)، دار المعارف، القاهرة، ط/ ٥، ١٩٨٤م، وينظر: كيف تناظر ملحدا؟ إحصاء لإشكالات الملاحدة وبيان لكيفية الإجابة عليها، المؤلف: أ.د. نور الدين أبو لحية، (ص٣٤٢)، الناشر: مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، ط/ ١، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م.

لزوجة واحدة؟ ولماذا نعتبر كلمة الغش هي الوصف لذلك؟! ولماذا يشعر الإنسان بأن له ملكية خاصة في جسد إنسان آخر؟!

وما ذكره أيضًا: اعتقادك أن الاغتصاب خطأ أمر اعتباطي تمامًا [١].

- وما قرّره **سام هارس** أن قتل المسلمين بقنبلة نووية تستأصل شأفتهم إلى الأبد أمر غير مستبعد، وأن بعض المسائل من الخطورة بمكان بحيث يمكن أن يكون قتْل مَن يعتقدها أخلاقيًّا [٢].
- وما صرح به **بيتر سنجر** [٣] من أنه لا يرى مشكلة في ممارسة الجنس مع الحيوانات طالما أن ذلك يؤدي إلى استمتاع الطرفين: (الحيوان والإنسان)، بشرط عدم انتهاك حق الحيوان[٤].
- وما رآه **كراوس** أن زنا المحارم ليس به ضرر، وذلك إذا حصل بالتراضي بين الأطراف المعنية[٥].

---

(١) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٥٣)، شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٦).
http://web.archive.org/web/20140530001435/http://old.richarddawkins.net/articles/1926-banishing-the-green-eyed-monster

(٢) ينظر: الإلحاد يسمم كل شيء، مرجع سابق (ص ٤٣)، مجلة براهين الإلكترونية لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية من منظور علمي فلسفي شرعي، (ص١٧)، العدد التجريبي يونيو ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، دورية فصلية دورية.

(٣) بيتر سنجر Peter Singer: ولد سنة ١٩٤٦م، أستاذ الفلسفة بجامعة برنستون بأستراليا مهتم بفلسفة الأخلاق. خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٠٦).

(٤) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٥٥)، شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٨).

(٥) ينظر: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، عبد الشهري، (ص٨٥)، مركز نماء للبحوث والدراسات-بيروت، ط/ ١، ٢٠١٤م.
وفي منتدى التوحيد موضوع للكاتب محمد الباحث بعنوان: فضائح الدروانية وفضائح أخلاق الملاحدة الإجرامية (متجدد) ذكر فيه الكاتب عددا كبيرا من التقريرات اللاأخلاقية والممارسات المنحرفة عند بعض الملاحدة.
https://www.eltwhed.com/vb/showthread.php

وهؤلاء على صواب في الإجابة؛ فعندما ترى من خلال عين الإلحاد يستحيل أن ترى معنى موضوعيًّا للخطأ أو الصواب [١].

وهذه النظرة أيضًا حاضرة عند بقية الملاحدة الجدد، وهي نظرة منسجمة مع رؤيتهم المادية المحضة للكون والحياة، فأفرزت لنا مثل هذه الأطروحات العبثيّة والنماذج الفوضويّة في غياب المرجعية الدينية، وفي غياب التعويل على أية قيمة أو مبدأ، فانقلبت المفاهيم الأخلاقية إلى مفاهيم غير أخلاقية، فأصبح الخير شرًّا، والشر خيرًّا، والفضيلة رذيلة، والرذيلة فضيلة..، وصارت الدنيا جلّ همّهم ومنتهى أملهم.

فغدا الإنسان غريبًا في هذا العالم، لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه؛ لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته، نتيجة لانفصال العلم عن المنظومة القيمية والأخلاقية...، فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة بالنسبة لقوامنا ولا لهيئتنا، إننا قوم تعساء؛ لأننا ننحط أخلاقيًّا وعقليًّا [٢].

إنّ ما تروم إليه منظومة الأخلاق عند هؤلاء هي الدعوة إلى اللاأخلاق؛ فالإنسان – على زعمهم – يفترض به التمتع والاستمتاع بهذه الحياة الخالية من الأوهام الدينية والأخلاقية؛ لأنه – في نظرهم – لن يُحاسب على أفعاله، وليست منظومته متعلقة باليوم الآخر، بل مرهونة بالحياة التي يعيشها لا غير [٣].

فإذا كان السبب الذي يحاول الإنسان لأجله أن يكون صالحًا هو تحصيل رضا الله ﷻ ومحبته أو تفادي سخطه وعقوبته، فهذا ليس أخلاقيًّا، بل هذا نفاق، وتلميع للمظاهر فقط – على حد تعبير **دوكنز** – [٤].

---

(١) ينظر: طلاسم نجسة، مرجع سابق (ص٧١).

(٢) ينظر: الإنسان ذلك المجهول، ألكسي كاريل، (ص ٤١)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٧٤م.

(٣) ينظر: القيم الحضارية في الإسلام، محمد عبد الفتاح الخطيب، (ص٦٩)، دار البصائر، ط/ ١، ٢٠١١م.

(٤) ينظر: حوار ساخن عن الإلحاد، هادي المدرسي، (ص٤٣٣)، مركز الفكر الرسالي للدراسات والأبحاث، ط/ ١، ١٤٣٨-٢٠١٧م.

وقد أكد ذلك الملحد **(ويل بروفاين)** بشكل واضح وصريح، فذكر أننا مرتبطون جميعًا بالمنظور التطوري، فلا آلهة، ولا حياة بعد الموت، ولا قاعدة حقيقية للأخلاق، ولا معنى نهائي للحياة...، أنت هنا اليوم، وسترحل في الغد، وهذا كلّ ما في الأمر [١].

وبذلك تخرج منظومة الأخلاق عند هؤلاء عن جادة الاستقامة، الأمر الذي أدّى إلى انعطاف قيمها عليها بالفساد، حيث يظن أنها آتية بالسداد، وكأنها قيم محكومة بقانون عام هو: انقلاب المقصود إلى ضده [٢]، والسبب في ذلك يرجع إلى أنّهم قد استقوا أخلاقهم بعيدًا عن الوحي الديني، ففشلوا في تحقيق توازن متآلف بين حاجات الإنسان الدنيوية وتطلعاته الروحية، فأنتجت فلسفتهم إنساناً منطويًا على نفسه، "في طباعِه أو أخلاقِه أو حوادث دنياه جهة مريضة ينكسر عندها الرأي، ويبتلى بها الحس، فهي توجهه وتصرفه منظورًا فيه إلى شعور بعينه"[٣]؛ لينتهي به الأمر:

- إما إلى قتل النفس حسًّا أو معنى.
- وإما إلى وأد الجانب الروحيّ والتغلغل في أعماق الماديّة البحتة [٤].

نعم، يمكن للملحد أن يتبنى نموذجًا أخلاقيًّا يحيا به، ويمكنه أن يتصرّف بخُلق، ويمكنه أن يحكم على أفعال بأنها أخلاقية، وعلى أخرى بأنها لا أخلاقية؛ لأنه لن يستطيع أن يكون حيوانًا كاملًا حتى لو أراد ذلك من كلّ قلبه، ولكنه حين

---

(١) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص١٧٥)، نفسية الإلحاد، مرجع سابق (ص١١٤).

(٢) ينظر: القيم الحضارية في الإسلام، مرجع سابق (ص٦٩).

(٣) كتاب المساكين، مصطفى صادق الرافعي، (ص ٥٤)، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م.

(٤) ينظر: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، (ص ٩٤)، دار القلم، بيروت، ٢٠٠٧م.

يتبنى هذا النموذج فإنه سيعتمد على نموذج أخلاقيّ خال من الأعباء الأخلاقية، بمعنى: أنه سيكون على خُلق ما لم يصبح هذا الخلق حجر عثرة في وجـــه شهواته ونزواته وطموحاته..، وسبب ذلك يكمن في أن الإلحاد لا يدعم أي أسس فكرية للأخلاق؛ لأن فرضية الإلحاد ليس لديها تأسيس لمبادئ الخير والشر(١)، الأمر الذي يجعل الأخلاق عنده نسبيَّة متغيرة تبعًا لرغباته وأهوائه، فقد يكون الفعل محمودًا عنده، ولكنه مذموم عند شخص آخر، وقد يكون من قَبيل الرحمة عنده، وعند شخص آخر من قبيل القسوة، والعكس صحيح..

لذلك نجد ريتشارد **دوكنز** يقرّ بمشكلة النسبية الأخلاقية التي تتنكر لأية معايير مطلقة يمكن للإنسان أن يحتكم إليها، فيقول: "**في هذا العالم لا يوجد شر، ولا يوجد خير، لا يوجد سوى قسوة عمياء لا مبالية**"(٢).

وعلى العكس من ذلك تمامًا، نجد القيم الأخلاقية في الرؤية الدينية مثمرة وناجعة في الوقت نفسه؛ وذلك لأن الخير الأخلاقي يتميز بالسلطة الآمرة تجاه الجميع، وبالضرورة التي يدركها كل فرد، أن ينفذ نفس الأمر، أية كانت الحال الراهنة لشعوره، وهو ما يعني أن تجاهله للقيم الأخلاقية يعد أمرًا مقيتًا ومستهجنًا ومستغربًا(٣).

---

(١) ينظر: كهنة الإلحاد د. هيثم طلعت، (ص ٢٣٤)، نيو بوك للنشر والتوزيع، ط/ ١، القاهرة، ٢٠١٧م، أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، (ص٥٠٩)، جمعه وعلق عليه م. أحمد حسن، مركز دلائل الرياض–السعودية، ط/ ١، ١٤٣٧هـ.

(٢) ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٥٣–١٥٤).

(٣) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، محمد عبد الله دراز، (ص ٢٢ وما بعدها)، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة. د.ت.

لذلك فإن المطلوب من الإنسان أن يدرك حدوده وتركيبته، فيعرف أنه جزء من الطبيعة ولكنه لا يُردّ لها، فهو ليس بإنسان طبيعي مادي، وإنما إنسان طبيعي رباني، يعيش في الطبيعة والزمان، ولكن توجد داخلَه عناصر (قبس إلهي)...، وأن حياته لها معنى وغاية تسعى إليها [١].

هذه الغاية هي الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وذلك عن طريق تحقيق مصالحه في دينه ودنياه، وإشباع رغباته المادية والروحية بصورة لا يطغي فيها جانب على آخر.

والنتيجة التي نخلص إليها أن الأخلاق مرجعها إلى الدين، حيث "يستولي على النفوس من كل جهاتها، فيقف بها عند ما حد لها من الحدود، ثم يحاول أن تكون فاضلة كاملة حتى تؤثر على نفسها ولو كان بها خصاصة، وترى في ذلك كلّ سعادتها وهناءتها"[٢]، وأن أحكامها ثابتة، وليست متغيرة بتغير الفلسفات، وهذا إن دل فإنما يدل على ثبات الأخلاق وديمومتها في الرؤية الدينية، ونسبيتها وتقطعها في التجربة الإلحادية.

(١) ينظر: اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، عبد الوهاب المسيري، (ص ٨٢)، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٢) مقالات وفتاوى الشيخ الدجوي (ت ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)، (٥٥/١)، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٨١م.

المبحث الثاني

مصدر الأخلاق عند الملحدين الجدد

في البداية تجدر الإشارة إلى أن دعاة الفلسفة الإلحادية الجديدة صرّحوا بأن الكتب الدينية قد طرحت مفاهيم أخلاقية متدنية، وأن البشرية ستكون أحسن حالًا دون هذه المفاهيم؛ فرفضوا كون الدين مصدرًا للقيم الأخلاقية، ورفضوا القيم القائمة عليه.

فهذا **كريستوفر هيتشنز** يصرّح بأن هناك بالتأكيد طرقًا كثيرة تدل على أن الدين ليس فاقدًا للحس الأخلاقي فقط، بل إنه يدفع دفعًا إيجابيًّا للفساد الأخلاقي (١).

وفي موضع آخر يقول: "إن موقفنا ضد الدين هو منطلق كلّ الأدلة، إنّه المقدمة لكل القضايا الفلسفيّة والعلميّة والتاريخيّة، وكل ما يخص الطبيعة الإنسانيّة" (٢).

وقد ذكر **سام هارس** أنه لو كان بإمكانه الحصول على عصا سحرية، واستطاع القضاء إما على الاغتصاب أو الدين، لما تردد أبدًا في القضاء على الدين (٣).

وعلى الرغم من تطابق رؤى هؤلاء في رفض الدين تمامًا فإنهم قد تضاربت أقوالهم وتباينت آراؤهم في مصدر القيم الأخلاقية، ولكنها جميعًا تتبنى التصور الداروينى في تفسير المسألة الأخلاقية، وتكاد تقول: إنه لا وجود لشيء اسمه قيم أخلاقية موضوعية، وهذا ما ينبغي أن يكون فعلًا؛ إذ الارتكاز على

---

(١) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٤٤)، الله ليس عظيما (ص٢٠٥).

(٢) خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣٠٩).

(٣) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٤٥).

التصور الداروينى في معالجة هذه المسألة يستلزم القول بأنه لا وجود قيمي مطلق للأخلاق، وإنما هي كالإنسان تقبل التطور والانحدار بحسب مسارات تطور الكائنات، فعلى سبيل المثال: القط عندما يأكل فأرًا، فإنه لم يمارس خطيئة أخلاقية، كذلك أفعال الإنسان الآثمة – في ظل التصور الداروينى – في السياق الاجتماعي لا ينبغي أن تكون خطيئة أخلاقية من جهة القراءة الموضوعية لمثل هذه الأفعال(١).

الأول: الانتخاب الطبيعي:

بداية رأى **دارون** أن الحيوانات التي تتمتع بحس اجتماعي، ومنها الإنسان، ما إن تصل إلى درجة معقولة من الذكاء حتى تكتسب دوافع أخلاقية تُعينها على الحياة في الظروف الاجتماعية السائدة، أي: أن هذه الظروف هي التي تشكل القيم الأخلاقية، وعرض أمثلة اعتقد أنها تخدم فكرته، منها: أن الهنود الحمر كانوا يتركون الضعفاء في العراء؛ ليموتوا من أجل الحفاظ على موارد الطبيعة للأفراد الأصحاء والأقوياء، وهو ما يتماشى مع مفهوم الانتخاب الطبيعي، ومبدأي «الصراع من أجل البقاء» و«البقاء للأصلح»(٢).

وهكذا اعتبر الملاحدة الحسَّ الأخلاقي أحد نتائج التطور الداروينى، ومصدره الانتخاب الطبيعي؛ حيث إن مسألة الأخلاق مسألة لا تختلف عن سائر الأعضاء البيولوجية الأخرى، فكلها جاءت نتيجة التطور البيولوجي أثناء صراع الإنسان في مواجهة قوى الطبيعة والآلام والشرور (٣).

---

(١) ينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٥).

(٢) ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٢٩٩-٣٠٠). الانتخاب الطبيعي Natural Selection، وهو آلية تنتقل بها الطفرات العشوائية المفيدة إلى الأجيال التالية، ومن ثم يتم المحافظة عليها، أما الكائنات التي تحتوي على طفرات ضارة فتموت وتندثر وتفنى. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٨٠).

(٣) ينظر: وهم الإله ٢٢٧-٢٣٠). خرافة الإلحاد، مرجع سابق (٢٩٦).

الثاني: المجتمع مصدر من مصادر الأخلاق:

تحولت نظرية التطور عند دارون إلى دين يعتنقه كثير من الفلاسفة، وهم مستعدون لكسر أعناق الأدلة لتتوافق معها؛ لذا نجد ملاحدة اليوم قد طوعوا هذه النظرية في مجال الأخلاق، فرأوا أن لتلك النظرية نتائج نسبية، وإيحاء بأن المعايير الأخلاقية قد تطورت مع تطور المجتمع، وعليه يكون التغير أساسيًّا للأخلاق كما أنه أساسي للبيولوجيا، والتغير يؤدي عقليًّا إلى إنكار أي معيار حقيقي ومطلق [١].

وعلى ذلك؛ فإن القيم الأخلاقية عندهم نابعة من الوسط الاجتماعي للفرد؛ حيث يستحسن ما يستحسنه المجتمع، ويستقبح ما يستقبحه المجتمع، فلا أخلاق إلا أخلاق المجتمع، "فالمجتمع هو الذي يفرضها...، وهو الذي يقوم مقام الإله في الديانات السماوية أو الكائن العظيم في الديانة الوضعية"[٢].

وجاء **دوكنز** فتصدى لإثبات مفهوم النشأة التطورية للديانات، واجتهد في قطع علاقة الأخلاق بالدين والفطرة؛ فرأى أن الكائن الحيّ يسعى من أجل بقائه، وينتهي هذا السعي إلى التنازع من أجل البقاء، وهذا التنازع ينتهي إلى الانتخاب الطبيعي، وانتخاب الأصلح، وعليه فأخلاق البشر قد تطورَت تطورًا تدريجيًّا، ثم استقرت تبعًا لما يحقِّق للإنسان المصلحةَ والتفوُّق، وعبّر عن ذلك بأنه يمكننا أن نستمدّ شعورنا بالصواب والخطأ من ماضينا الدارويني [٣].

---

(١) ينظر: الفلسفة أنواعها ومشاكلها، هنتر ميد، (ص ٢٧١)، ترجمة فؤاد زكريا، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م، طلاسم نجسة، مرجع سابق (ص٩٠).

(٢) ينظر: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الربيع بن ميمون، (ص٢١٥)، الجزائر، ١٩٨٠م.

(٣) ينظر: وهم الإله (ص٢١٤).

وذكر في كتابه «الجين الأناني» أننا آلات نجاة، أجهزة آلية مبرمجة بشكل أعمى للحفاظ على الجزيئات الأنانية المعروفة باسم الجينات، وأن الأخلاق ما هي إلا تكيف بيولوجي تطوري، ومجرد أوهام تصورها لنا جيناتنا لتنظم عملية التكاثر الذي يخدم بقاءنا (١).

ولنا أن نقول: بناء على ما قرره **دوكنز** فإنه لا يمكن أن نحاكم أحدًا على فعل قام به؛ لأنه لا اختيار له فيما فعل، فما هو إلا آلة مبرمجة، والآلة لا تحاسب على فعل تقوم به.

لذا فقد اعترض **ريتشارد جويس** Richard Joyce على قول دوكنز، فبيّن أنه حتى إذا كانت الأخلاق نتاجًا للتطور، ومفيدة لاستمرار الأنواع، فإنها يمكن أن تبقى خيالًا، ورأى أن هذا النوع من الحجج يؤدي إلى إضعاف موقفهم من حقيقة عقائدهم الأخلاقية: «إن اعتقاداتنا الأخلاقية نتاجات لعملية مستقلة تمامًا عن حقيقتها، وهذا ما يفرض الاعتراف بعدم وجود أي نوع من الأسس للتمسك بهذه المعتقدات، فقد تكون الاعتقادات الأخلاقية صحيحة، ولكن ليس لدينا سبب للتصديق بذلك» (٢).

هذا، وبالرغم من أن **ريتشارد دوكنز** قد أرجع نشأة القيم الأخلاقية إلى التطور، فإنه رفض أن تكون تلك الأخلاق مرجعيتنا؛ لأنها لا تنتج إلا مجتمعًا فاشستيًّا ينتشر فيه التعصب العنصري والتصفية العرقية، ورأى أنه إذا كنا قد ولدنا أنانيين؛ فعلينا إذا أردنا أن نحيا في مجتمع يتعاون أفراده لتحقيق أهداف سامية ألا نتوقع مساعدة من طبيعتنا البيولوجية، ومن ثم علينا أن نعلّم أبناءنا الكرم والإيثار.

---

(١) ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٢٩٧).

(٢) إخفاق النظام الأخلاقي للإلحاد، روبرت أ. دليفنو، ترجمة طارق عسيلي، (ص١٦٧)، مجلة الاستغراب، ربيع ٢٠١٧م.

وفي حقيقة الأمر إن هذا الطرح قد أوقع **دوكنز** في موقف متضارب، إذ رأى أن القيم الأخلاقية ليس لها مصدر سماوي، وفي نفس الوقت رأى أنه لا ينبغي أن نستمد قيمنا من الطبيعة، لأنها لا تقدم إلا الصراع، والسؤال الذي يطرح نفسه: مِن أين إذن نستوحي القيم التي ينصحنا دوكنز باتباعها؟

أجاب **دوكنز** عن هذا السؤال، وقدم طرحًا غريبًا للخروج من هذا المأزق الذي وضع نفسه فيه، فذكر أنه ينبغي علينا أن نتأمل ونتفحص أخلاق التطور لنختار منها المفاهيم الحسنة Nice لنتخلق بها وندع الباقي.

ولكن ما هو مقياسنا للمفاهيم الحسنة؟ رأى **دوكنز** أن أخلاق المسيح عليه السلام مثال يمكن أن يحتذى بها، ولكن من أين استمد المسيح عليه السلام قيمه وأخلاقه؟! مما لا شك فيه أن مصدرها لم يكن التطور الداروينى أو الانتخاب الطبيعي، وليس هناك مفر من الإقرار بسماوية مصدر الأخلاق الإنسانية الفاضلة رغم أنف كل التفسيرات الساذجة التي يقدمها الملاحدة للهروب من الإقرار بذلك (١).

وأيًا ما كان جوابه فإنه يؤدي إلى الدور أو التسلسل، وكلاهما مرفوض عقلًا، ويبقى التناقض البيّن في أقواله علامة واضحة لا نجد لها جوابًا ولا مخرجًا.

الغريب أن **دوكنز** مع هذه العصبية الشديدة لنظرية دارون قد ذكر في أحد كتبه عبارة تكشف عن هدوء غريب، بل ومريب في التعامل مع نظرية دارون، يقول فيها: "دارون قد يكون منتصرًا بنهاية القرن العشرين، لكن يجب علينا الاعتراف باحتمال ظهور بعض الحقائق الجديدة للنور، والتي ستدفع من سيخلفنا في القرن الواحد والعشرين إلى التخلي عن الداروينية أو التعديل عليها بشكل يجعلها مختلفة كليًا" (٢).

---

(١) ينظر: الجين الأناني (ص ٢-٣)، وهم الإلحاد، مرجع سابق (ص١١٢)، خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٥١).

٢) ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٩٢).

لذلك نجد **بيتر سنجر** –عالِم الأخلاق–يلخص مخاطر إخراج الإله من الصورة واللجوء إلى البيئة (الطبيعة والمجتمع) كمصدر للأخلاق، فذكر أن التطور الدرويني قد وضعهم في موقف حرج للغاية، وذلك بعد أن أزال الحاجز بينهم وبين بقية الكائنات، وبعد أن أطاح بالدين كمؤسسة مسئولة عن تلك الأخلاق الرفيعة؛ وعليه فقد قرر أنه لم يعد ممكناً أن نبني أخلاقنا على أساس أن الإنسان مخلوق متفرد، شكّل على صورة الإله، وزوّد بروح خالدة، لأننا –بلا شك–سنكون عاجزين في المستقبل عن استعادة المفاهيم الأخلاقية السامية، ولا بد أن نعترف بهذه الحقيقة [١].

والحق أن مبدأي الصراع من أجل البقاء والبقاء للأصلح، قد أديا إلى تفوق الإنسان الحديث على حساب الإنسان البدائي، الذي انقرض نتيجة لعدوانية أجدادنا، ولما كانت هذه النتيجة لا تتوافق مع منظومتنا الأخلاقية، فذلك يعني: أن لأخلاقنا مصدرًا آخر غير الصراع، وأن هذا المصدر ليس إلا الإله الخالق للعقل البشرى خلقًا مباشرًا.

كما أن معالجة **دوكنز** ومن تبعه لنشأة المنظومة الأخلاقية قد أوقعته في تناقض صارخ، فهو يؤكد أن هذه المنظومة قد نشأت بالتطور الدارويني الذي لا يفرز إلا الوحشية والدناءة، وفى نفس الوقت يرى أن جوهرها مجموعة من الأخلاق الحسنة التي نشأت نتيجة لأخطاء تطورية! وأن علينا أن ننشئ أبناءنا على هذه الأخطاء الحسنة!!

وفى الوقت ذاته يرفض **دوكنز** أن نربّي أبناءنـــا تربية دينية؛ إذ تزرع في عقولهم مفاهيم خاطئة دون أن يكون لهم القدرة على مناقشتها أو الاعتراض عليها، ثم لم يلبث أن اعترف بانفراد الدين بتحديد الأخلاق قائلًا: "ليست جميع

(١) ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٠٦).

الأحكام المطلقة مستمدة من الدين، ولكن من الصعب جدًّا الدفاع عن القيم الأخلاقية المطلقة على أرضية أخرى غير الدين" (١).

وعلى كل؛ فإن الإنسان عند هؤلاء مَدين للمجتمع الذي كوّن إنسانيته العُليا، ورفع من شأنها لكي تتجاوز الواقع إلى حالة أرفع مما كانت عليه، لذا فإنه لا يمكنه أن يرفض ذلك المجتمع الذي منحه كل ما يحتاجه؛ لأن هذا الرفض يحمل بين طياته اندثار كل شيء يميز الإنسان عن بقية الكائنات، وبالتالي أصبح للمجتمع تسلط وهيمنة على حياة الأفراد؛ فيقرر قيمها ويحرر أخلاقها (٢).

هذا بالإضافة إلى أن المجتمع إن كان هو الذي يمد الإنسان بما يتميز به عن غيره من الحيوانات، فما بال هذه الحيوانات الكثيرة تعيش مجتمعة، ومع ذلك تبقى على حيوانيتها، ولا تفارقها، ولا ترقى حتى إلى أدنى الدرجات الروحية التي يمكن أن يبلغها الإنسان، وإن كان بإمكانها فعل ذلك، لو كان الأمر متوقفًا على مجرد حدوث الاجتماع!

نعم، قد يملي المجتمع على الفرد جملة من العادات والتقاليد، ويدفعه إلى تمييز الجيد من الرديء، إلا أنه لا ينتج العقل الذي يقوم بهذه المهمة، فماذا نفعل لو ثار الفرد على أخلاق مجتمعه، وحمل الناس على استبدالها بما يراه أحسن منها فيسيرون وراءه، فيتحول المجتمع إذ ذاك إلى مجتمع آخر له مثل عليا

---

(١) ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٢٩٧)، (ص ٣٥٠ وما بعدها)، شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٦).

(٢) ينظر: نظرية القيم، ميمون، مرجع سابق (ص٢١٤)، القيم بين النسبية والثبات دراسة في المصادر والنتائج، د. محمد نجدي حامد، (ص١٠٧٦)، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، العدد ٣٦، ٢٠٢٠م.

جديدة، ما كان أفراده يؤمنون بها من قبل؟ أفلا يكون الضمير الفردي مرجع الأخلاق ومصدرها أولى من ردها إلى الضمير الجماعي؟!

وهكذا يتبين أن مصدر الأخلاق ليس ذلك المجتمع، ولا أحد أفراده، وإنما يمتاز الإنسان عن سائر الحيوانات بأن حركاته وتصرفاته يتولى قيادتها معنى إنساني روحاني، أساسه الفكرة والعقيدة...، فالإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما في تحديد الأخلاق والحقوق والواجبات على وجهها الكامل(١).

الثالث: الضمير الفردي مصدر من مصادر الأخلاق:

هذا، وثمة نص آخر ألمح فيه **ريتشارد دوكنز** إلى أن وخز الضمير(٢) البشري لصاحبه كفيل بمنعه عن ارتكاب الذنب، وذلك قوله: "لسنا محتاجين للإله لنكون جيدين، فأنت لا ترى اختلافًا كبيرًا بين أفعال المتدينين والملاحدة، بل وبين البشر جميعًا، تجاه مواقف أخلاقية معقدة" (٣).

لقد تشكل في وعي **دوكنز** أن القواعد الأخلاقية لا يوجد لها حل إلا من خلال العمل المستوحى من الضمير، أو على حد تعبير روسو: "لا أستخلص هذه القواعد من مبادئ فلسفية عالية، وإنما أجدها في أعماق قلبي، وقد نقشتها

---

(١) ينظر: نظرية القيم، مرجع سابق (ص ٢٢٠-٢٢٢)، القيم بين النسبية والثبات، مرجع سابق (ص ١٠٧٨)، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، مرجع سابق (ص١٥١).

(٢) الضمير عند هؤلاء هو "تلك الغريزة الملازمة للإنسان منذ ولادته التي تملك القدرة على إدراك الخير والشر حدسيًّا من غير حاجة لأي خبرة سابقة، ومن غير حاجة لمعطيات الخبرة الحسية، أو لأي شكل من أشكال التأمل المنطقي". (ينظر: مبادئ الإلزام الخلقي عند روسو، محمد منيرة، (ص٣٩١)، مجلة دامعة دمشق، المجلد رقم ١٨، ٢٠١٢م. ويعد جوزيف بطلر (١٦٩٢-١٧٥٢م) أكثر فلاسفة مذهب الضمير انتشارًا وتأثيرًا.

(٣) خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٠٥).

الطبيعة بأحرف لا تمحى، فما عليّ إلا أن أستشير نفسي فيما أريد أن أفعل.. إن أفضل مفتٍ هو الضمير"(١).

ولا يخفى ما في كلام **دوكنز** من إشارة إلى أن **البشر جميعًا** لديهم مصدر مشترك للمفاهيم الأخلاقية بغض النظر عن الاختلافات الجنسية والحضارية والعقائدية، كيف لم يتنبه لذلك؟! إن ذلك الاتفاق ليس له إلا أحد تفسيرين:

- إما أن المفاهيم الأخلاقية فطرية في الطبيعة الإنسانية.
- وإما أن تكون هناك رسالة سماوية واحـــدة وصلت إلى شعوب الأرض جميعًا، ونحن نقول بالرأيين معًا (الفطرة والرسالة)، لكن هل يقبل الملاحدة بأي من هذين الرأيين؟ بالطبع لا! (٢).

هذا، وقد تابعه على ذلك الفيزيائي **ستيفين واينبرغ** حيث رأى أنّ الدّين إهانةٌ للكرامة الإنسانية، فبِه أو بدونه سيقوم الأشخاص الجيدون بأفعالٍ جيدة وسيقوم الأشخاص السّيئون بأفعالٍ سيئة، ولكن حتى يقوم الأشخاص الجيدون بأفعالٍ سيئة، فهذا يتطلب دينًا (٣).

قوبل رأي واينبرج بتصفيق حار بعد كلامه هذا، من غير أن يسأله أحد من أعضاء جمهوره السؤال الذي ربما خطر على بال أحدنا أنه وثيق الصلة:

---

(١) قرار الإيمان، جون جاك روسو، (ص١١) ترجمة/ نجيب المستكاوي، دار المعارف- مصر، ط/ ١، ١٩٥٤م.

(٢) ينظر: خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٠٥). وبعد الفطرة والرسالة يأتي دور «العقل»، فنجد القرآن الكريم يكرر الدعوة إلى التعقل قرابة الخمسين مرة، ويؤكد فاعلية العقل بقوله: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ...)، كما بين القرآن أن من يعطل ملكة العقل ويحرم نفسه من عطائها يصير كالأنعام أو أضل. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٢٩٠).

(٣) ينظر: وهم الشيطان، مرجع سابق (ص٥٠)، طلاسم نجسة، مرجع سابق (ص١٦).

من الذي أذاق الجنس البشري المواد الشديدة الانفجار، والمدفعية الثقيلة، والقنابل العنقودية، والغواصات الهجومية، والأسلحة النووية؟![1].

إن الناظر بعين فاحصة يجد أن الضمير يتأثر بعاملين كبيرين:

أولاهما: أنه يتأثر بالحالة الاجتماعية للأمة وعرفها ودرجة رقيها، فالإنسان ينشأ في أسرة تستحسن أفعالًا وتستقبح أفعالًا أخرى فيقلدها في استحسانها واستقباحها، ثم إذا خرج إلى الحياة تبادل مع الناس الأخذ والعطاء فيلتقط آراءهم في الخير والشر، ويسايرهم فيما يستحسنون وما يستقبحون، فيفعل كما يفعلون.

وثانيهما: أن ضمير كل إنسان يتأثر بدرجة عقله وعلمه، فكلما زاد علم الإنسان ونما عقله؛ ارتقى ضميره...؛ حتى قد يأمره بما كان ينهاه عنه من قبل، وينهاه عما كان يأمره به [2].

وإذا كان الأمر كذلك، فلا أحد يعرف جوهر النفس وشريعة سعادتها وكمالها مع الصلاحية الكاملة والبصيرة النافذة غير خالق وجودها ذاته، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ، فمن ذلك النور نقتبس أنوارنا، وإلى ذلكم الضمير نتوجه لهداية ضمائرنا[3]، وهذا ما يميز الأخلاق في الإسلام؛ حيث إنها مستمدة من الوحي الشريف، ومستندة إليه؛ لأنه منهج كامل متكامل يحيط بحياة الإنسان كلها.

وإذا كان الوحي مصدرًا للقيم الأخلاقية فليس ينبغي أن نعتقد أن الأخلاق أخلاق دينية، بمعنى: أن رقابتها توجد في السماء فقط، وأن جزاءها فيما وراء

---

(١) ينظر: وهم الشيطان، مرجع سابق (ص٥٠-٥١).

(٢) ينظر: الأخلاق، أحمد أمين، (ص١٧)، مؤسسة هنداوي، ٢٠١١م، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق (ص ٤٠٤).

(٣) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق (ص ٣٣-٣٤).

الموت...، وهي أيضا ليست دينية بمعنى: أنها لا تجد دافعًا لها إلا في الخوف والرجاء، ولا تجد تسويغها إلا في إرادة عليا تملي – على وجه الاستعلاء – أوامرها، مستقلة عن كل ما يقتضيه العقل والشعور الإنساني، بل إنها دينية بمعنى: أن القرآن لم يزل يدعو إلى المفاهيم الإنسانية على وجه التحديد؛ لتسويغ أوامره، ومن هنا يمكن القول بأنه قد زود تعليمه الأخلاقي بنظام تربوي غاية في الكمال، بحيث يصلح لجميع مراتب الأخلاق [١].

الأمر الذي يمنحها صفة الثبات وعدم التغير؛ لأنها قيم أخلاقية أقرها اللهﷻ الذي يضمن صحة المقاصد ونجاعة الوسائل، ويظل ذلك الإنسان يطلب الكمال في كل أفعاله، فلا يصل إلى مرتبة حتى يطلب المرتبة التي فوقها، ولا يزال آخذًا في هذا التدرج بتزكية الصفات المعنوية، عن طريق اتباع أحكام شرع الله تعالى، ولا شك أن هذا التصور يضفي على الإنسان نوعًا من الهدوء والسكينة والاطمئنان التام، فلا يضل معه عن معالم الطريق المستقيم [٢].

وفي ضوء ما سبق فإن عدم وجود مصدر ثابت للأخلاق نرجع إليه عند الاختلاف فإنه يؤدي إلى فوضى أخلاقية لا تنتج إلى دمارًا للحضارة الإنسانية، وهو ما يجعلنا نرتاب في مآلات هذه النظريات، لننتقل بعدها إلى سبر المعايير التي تستند إليها في المبحث التالي.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ٦٧٦).

(٢) ينظر: العمل الديني وتجديد العقل، طه عبد الرحمن، (ص٢٣٣)، المركز الثقافي العربي–بيروت، ط/ ٤، ٢٠٠٦م، شموع النهار، مرجع سابق (ص٥٩)، القيم الحضارية في الإسلام، مرجع سابق (ص١٠٢).

المبحث الثالث

معيار الأخلاق

إذا تنزلنا بعد ذلك إلى بحث قضية تحرير المعايير التي في ضوئها يمكن التمييز بين القيم الخلقية الحسنة والقبيحة، وتحديد أدوات التوصل إلى معرفتها؛ فإننا نجد الملحدين الجدد قد اختلفوا حولها اختلافًا كبيرًا، فنزع كل فيلسوف منهم إلى منحى معين، يدرك به القيم من منظوره الخاص ومن تصوره العقلي لها، وذلك على النحو الآتي:

١- دوكنز:

يبدي ريتشارد دوكنز ــ بخلاف غيره من رواد هذه المسألة ــ قدرًا من الوضوح والشجاعة في التعبير عن الإشكالات والتعقيدات التي تعصف بالخطاب الإلحادي تجاه هذه القضية، فعند بحثه لقضية تحديد معايير القيم الأخلاقية ذكر قولين متضادين، إن دل فإنما يدل على تخبطه وتردده في اتخاذ موقف تجاه هذه المسألة، وهما:

الأول: القول بعدم وجود معايير للتمييز بين ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي: وأنه لا وجود لخير ولا لشر؛ فالكون - كما نشاهده - يتمتع بالخصائص التي نتوقعها تمامًا، لا يوجد أي تصميم أو أي غاية، لا شر، ولا خير، لا شيء سوى قسوة عمياء لا مبالية، وأن المحرك للإنسان هو الجينة الأنانية التي لا تدري ولا تكترث، وتتطلب منا البقاء، ونحن فقط ليس في وسعنا إلا أن نرقص وفق إيقاعها - على حد زعمه - [١].

(١) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص١٥٣-١٥٤)، شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٧، ٨١)، طلاسم نجسة، مرجع سابق (ص٤١).

وأكد ذلك، فذكر أنه من الصعب علينا الإقرار بأن كل الأمور ليست خيرة أو شريرة، ليست رحيمة أو شرسة، إنها لا مبالية بكل آلام الإنسان؛ إذ ليس لدى الطبيعة أي هدف(١).

ويمكن أن نلحظ وجود ثمة تقارب بين وجهة نظر **دوكنز** هذه ورأي **سارتر**، حيث عبّر سارتر عن ذلك بقوله: "إنه لا يوجد شيء، لا إله، ولا خير، ولا شر، ولا أحد يأمرني، فأنا لن أعود للخضوع إلى قانونك؛ لأنه محكوم عليّ ألا يكون لي غير قانوني" (٢).

المشكلة أن ريتشارد **دوكنز** مع كل هذه التصريحات التي يتبناها، والتي تدل على مدى هشاشة النظرية الأخلاقية وانعدام الأصول التي ترتكز عليها مسألة وجود هذه الأخلاق، فإنه يستسهل رمي مخالفيه بالفساد الأخلاقي، ووصْف ما لا يقبله من الأفعال بأنها غير أخلاقية، ووصْف الدين الإسلامي بأنه أعظم قوى الشر في هذا العالم، مع أن تصوره المذكور عن هذا الكون يفضي إلى القول بألا يكون هناك شر ولا خير أصلًا (٣).

ولقد أدى تشبثه بهذا القول إلى أن فقدت الألفاظ – بناء على فهمه هذا – قيمتها ودلالاتها، فماذا نفهم من ألفاظ: الصواب أو الخطأ، الخير أو الشر...؟ ألا تنتقل الفوضى من الأخلاق إلى الفوضى في الألفاظ! الأمر الذي يعني غياب آليات التفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع وفق الحاجات والرغبات، إلا إذا سادت طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.

الثاني: القول بأن العقل هو معيار القيم الخلقية: لقد قرر **دوكنز** أن أي عقل خلّاق لديه القدرة على تصميم أي شيء، فإنما يظهر في الوجود كمنتج لعملية طويلة من التطور المتدرج، وأكّد ذلك في كتابه **(وهم الإله)**، فذكر أن عقولنا قد

(١) النهر الخارج من جنة عدن، ريتشارد دوكنز، (ص٩٥-٩٦).
(٢) نظرية القيم، ميمون، مرجع سابق (ص ١٧٧).
(٣) ينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٧).

تطورت، وأصبح لديها القدرة الكافية لتقييم العواقب البعيدة.. ثم قال: أستطيع ملاحظة أن صرف حياتي كلها لإشباع نزوات أنانية يمكن أن يجعلني أقل سعادة على المدى البعيد، بخلاف فعل شيء آخر كمساعدة الآخرين ــ مثلًا ــ، إذا قبضتَ عليَّ وأنا أعطي المال لمحتاج، وقلتَ لي: لماذا تفعل هذا؟ ولم أستطع الجواب، فهذا لا يعني أنني خنتُ تصوري عن الكون، وأنه بلا إله" (١).

وقد تواطأ معه على ذلك **دانييل دينيت**، حيث عنَّ له أن فكرة الإيجاد دون معونة أو مساعدة من العقل تنطبق كذلك على منظومتنا الأخلاقية وأحاسيسنا الدينية (٢).

تعقيب:

إن القول بأن العقل فقط هو معيار القيم الخلقية أمر يحمل بين طياته عوامل بطلانه؛ إذ لا يمكننا أن نحكّم عقل فرد أو جماعة على عقول الآخرين، بسبب اختلاف العقول وتعدد اتجاهاتها.

كما أن اعتماد الإنسان على العقل فقط بدون مصدر أعلى يقيس أعماله عليه، ويهديه إلى معالم الطريق المستقيم، يفضي به ــ لا محالة ــ إلى حيرة وقلق لا يستطيع معهما تحقيق المراد وبلوغ الغاية التي يرجوها؛ إذ تلتبس عليه مفاهيم الصواب والخطأ والخير والشر، والعدل والظلم ...؛ لأنها نتاج العقل البشري، ومن هنا لا يستطيع الإنسان أن يخرج من هذا المشكلة إلا بقانون أخلاقي ينصلح به حاله في الدنيا ويسعد به في الآخرة، والدين وحده هو القادر على أن يقدم هذا القانون الدائم المطلق.

---

(١) ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص٨٩)، (ص ١٥٣)، وينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٧)، وهم الإله (ص٣١).

(٢) خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص٣٦٦).

"ومن هنا تصبح المسافة هائلة بين الضوابط والقيم التي تنبثق من تصورٍ: الألوهيةُ فيه لله ﷻ وحده وما سواه له عبد، وتصورٍ: الألوهيةُ فيه للإنسان وعقله ومنافعه، وبذلك تفقد الصفة الأساسية للثبات والخلود؛ لتقلب العقل وتلونه، إضافة إلى افتقارها إلى عنصر الارتكاز النفسي والعقلي الذي يضمن لها الاحترام والقبول؛ إذ يصبح الإنسان المحل والمعيار في آن" (١).

وفي هذا الإطار تختفي المعيارية لكل شيء، وتسود الحتمية المادية الصارمة، وهنا لن يستوعب العقل الهدف ولا القيمة؛ لأن العقل تحكمه نفس الحتميات المادية التي تحكم هذا العالم الماديّ الخالي من الغاية والقيمة (٢).

ويتبدى لنا بهذه الصورة بطلان القول بأن العقل هو معيار القيم الخلقية، فالاعتماد على ما يحسّنه العقل أو يقبّحه، والانطلاق من الإنسان والانتهاء إليه لا يرقى بالقيم ولا يعززها، بل أصبح معول هدم وفساد وتدمير، لا معول بناء وصلاح وتعمير، "فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العاقبة الحسنى؛ فينبغي تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع، لا بطرق العقول المجردة"(٣).

٢- سام هارس Sam Harris:

إذا كان **دوكنز** قد رأى أن العلم الطبيعي لا يمكن أن يكون مصدرًا للأخلاق، بناء على أنه ليس لديه طرق للحكم على ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي؛ إذ هذه المسألة – من وجهة نظره – متروكة للأفراد والمجتمع، إذا كان دوكنز قد رأى ذلك؛ فإن **سام هارس** في كتابه «**المشهد الأخلاقي .. كيف يمكن**

(١) القيم الحضارية في الإسلام، مرجع سابق (ص١٠٦).

(٢) ينظر: الإلحاد يسمم كل شيء، مرجع سابق (ص١٦-١٧).

(٣) ينظر: الأعمال الكاملة، رفاعة الطهطاوي، (١٥٩/٢ وما بعدها)، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، بيروت، ١٩٧٣م.

للعلم التجريبي أن يحدد القيم الإنسانية؟» يزعم أن الأخلاق هي التي ترتقي بعافية الإنسان، وبما أن العلم قادر على إخبارنا بما يحقق العافية، فهو قادر على الإجابة على الأسئلة الأخلاقية، وقادر على تحديد القيم الحسنة والقيم القبيحة.(١).

وقد أكد **هارس** أنه بفضل الاكتشافات العلمية والتقنية، وصل التطور الإنساني إلى مرحلة متقدمة تسمح للعلوم بأن تؤثر في تحديد عوامل الرفاهية الإنسانية، وشدد على أنه قد آن الأوان أن ندعم النهج العلمي في تحديد قوانين الأخلاق، رافضًا مبدأ أن الدين هو الذي يحددها (٢).

المشكلة أن **هارس** كان قد فهم الطبيعة الميتافيزيقية بطريقة حتمية ومختزلة، اتضح أنها لا تصلح لأن تكون أساسًا كافيًا للقيم الأخلاقية الموضوعية، ويدل على ذلك قوله: "إنك تميل للشعور بأنك أنت مصدر أفكارك وأفعالك، وأنك أنت الذي تقرر ما تفعل وما لا تفعل، فأنت تبدو كعلة فاعلة تتصرف بإرادتك الذاتية، لكن –كما سنرى–لا يمكن التوفيق بين وجهة النظر هذه وبين ما نعرفه عن الدماغ البشري ... إذ يمكن رد كل سلوكنا إلى الوقائع البيولوجية التي لا تملك أي معرفة واعية عنها ... فأنت لست مسؤولًا عن الشيء التالي الذي تفكر فيه (وبالتالي الذي تفعله) أكثر من مسؤوليتك عن وجودك في هذا العالم"(٣).

---

(١) ينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٤، ٦٦)، ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٥١).

(٢) موقع ويكيبيديا بتاريخ ٢٠٢٢/٨/١٠م

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%A7%D%95_%D%٨٧%٩D%٨A%٧D%٨B%١D٨%٩A%D%٨B٣

(٣) إخفاق النظام الأخلاقي للإلحاد، مرجع سابق (ص١٦٥).

لذلك دفع **أينشتين** هذا الادعاء مسبقًا، فقرر أن العلم لا يمكن أن يكون معيارًا للأخلاق، وأكد أن هناك أسسًا أخلاقية للعلم، لكننا لا نستطيع أن نتحدث عن أسس علمية للأخلاق، واستنتج فشل كل المحاولات التي تريد إخضاع الأخلاق لقوانين العلم ومعادلاته [١].

وكذلك رأى **د. جون لينكس**[٢] أنه لا يمكن للعلم أن يشكل معيًارا للأخلاق، وعقّب بقوله: "يمكن أن تساعدنا معرفة مقدار الألم الذي تحس به الحيوانات في صياغة الأحكام التي تخص القيام بالاختبارات الحيوانية، ولكن يبقى الحكم مقدرًا على أساس اقتناع أخلاقي سابق بأن الألم والمعاناة أمر سيئ.. يمكن للعلم أن يخبرنا أن وضع مادة التركنين السامة في شاي جدتك سيقتلها، ولكن لا يقدر العلم على إخبارنا إن كان يلزمك أو لا يلزمك فعل ذلك لكي تحصل على أملاكها" [٣].

والحقيقة أن مجمل ما فعله سام هارس هو ترتيب رؤية فلسفية على الاستنتاجات العلمية، لا كون تلك الاستنتاجات تباشر بنفسها السؤال الأخلاقي، حيث قام بافتراض رؤية أخلاقية تقوم على جعل ما يرتقي بعافية الإنسان هي معيار العملية الأخلاقية، ولم يبرهن على اختياره لهذا المعيار؛ لأن العلم الطبيعي – في حد ذاته – لا يستطيع أن يحدثنا عن كون مثل هذا المعيار صحيحًا أو خاطئًا، فهو وإن قدر – إلى حد ما – أن يحدثنا بما يسهم في عافية

(١) ينظر: وهم الإلحاد، مرجع سابق (ص ١١١).

(٢) جون لينكس John lennox: أستاذ الرياضيات وفلسفة العلوم البريطاني بجامعة أكسفورد، اشتهر بمؤلفاته ومناظراته ضد الإلحاد مع دوكنز. (خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٧٥).

(٣) أقوى براهين د.جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، مرجع سابق (ص٥١٣).

الإنسان، إلا أن جعل ذلك ممارسة أخلاقية حسنة ليس مقولة علمية، يمكن التدليل عليها [١].

لذلك قال الفيلسوف الملحد ألكسندر روزنبرج في سياق رده على كتاب سام هارس (المشهد الأخلاقي): إنّ هاريس يعتقد خطأ أنَّ العلم يمكن أن يُظهر أنَّ الاتفاق الأخلاقي مُصيبٌ أو صحيح، ليس للعلم سبيل أن يَسد الفجوة بين ما هو كائن وما هو واجب[٢].

كل ما سبق يقودنا إلى القول بأن العلم الطبيعي ليس له قول في هذا الفضاء أصلًا؛ فاعتبار الإنسان مجرد وحدة فيزيائية كيميائية وجزءًا من مادة حية قَلَّ أن تتميز عن الحيوانات كل هذا يؤدي إلى موت الإنسان الخُلقي، وخنق كل روحانياته وكل أمل فيه، هذا من ناحية [٣].

ومن ناحية أخرى فإن العلم لا يعرِّفنا الخير والشر، بل تركنا أقل ثقة بالصواب والخطأ؛ لأن مجاله إنما هــو الكائنات الطبيعية، فالناس لا يكفيهم ذلك مهما ازداد وعظــم؛ إنهم يحتاجون مع هذا إلى قيم يهتدون بها في معاملاتهم مع الله ﷻ والناس؛ لذا "كان القانون الأخلاقي الكامل هو الذي يرسم طريق المعاملة الإلهية كما يرسم طريق المعاملة الإنسانية...، ويمتد إلى وجوه النشاط المختلفة في الحياة العملية فيضع لها المنهاج السوي الذي يجب أن يسير عليه الفرد والجماعة، فيصبح اتباع الفضائل الفردية والاجتماعية نوعًا من الطاعة لأوامر الدين، وبابًا من أبواب القربات والعبادات الإلهية، فضلًا عن كونه تحقيقًا لمبدأ العدالة الإنسانية، وتلبية لداعي الفطرة السليمة"[٤].

---

(١) ينظر: شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٤).

(٢) الإلحاد في مواجهة نفسه، د. سامي عامري، (ص١٢٤).

(٣) ينظر: مصير الإنسان، كونت دي نوي، (ص ١٦)، ترجمة خليل الجر، المطبعة البوليسية، دار جونية، لبنان، ١٩٦٧م.

(٤) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، مرجع سابق (ص٩٣-٩٤).

والحقيقة أننا قد منينا في هذه العصور بقوم ينسبون إلى العلم ما يتبرأ منه العلم، فيعارضون كل شيء جاءت به الديانات بحجة أن العلم يأباه ويرفضه، بل أثبت العلم أن المنظومة الأخلاقية فطرة في النفس الإنسانية، يقف وراءها إله حكيم قادر[١].

٣- لورانس كراوس:

رأى **لورانس كراوس** أن الذي يحدد مصير كون الفعل أخلاقيًّا من عدمه، هو تحقيق المنفعة ودفع الضرر، فالفعل أخلاقي إذا حقّق المنفعة، وهو غير أخلاقي إذا أدى إلى ألم أو ضرر، كما هو مذهب بنتام [٢] ومن نهج نهجه.

ويكفي لمعرفة موقفه الصريح جدًّا من هذه القضية قوله في المناظرة التي جمعته مع **حمزة تزورتزس** [٣] والتي عقدت في بريطانيا تحت عنوان «الإسلام أو الإلحاد، أيهما أكثر منطقية؟» عندما سئل عن سبب كون زنا المحارم خطأ، وضجت القاعة حين سمعت جواب كراوس قائلًا: (لا يظهر لي أنه خطأ)، موضحًا بعد ذلك بأن كون هذا الفعل من التابوهات [٤] مبرر في مسيرة التطور البشري لما يولده التزاوج بين الأقارب من أمراض وراثية على الأولاد، فتطورنا مستهجنين لهذه الممارسة، أما الفعل في حد ذاته، فيصعب عليه أن يجد

---

(١) مقالات وفتاوي الشيخ الدجوي، مرجع سابق (١٣/١)، خرافة الإلحاد، مرجع سابق (ص ٣١٤).

(٢) بنتام، جريمي، Jeremy Bentham (١٧٤٨-١٨٣١م) فيلسوف وعالم اقتصاد بريطاني، اعتبر أن المتعة غاية الحياة الأساسية، له: مقدمة لمبادئ الأخلاق والتشريع. (ويكيبيديا).

(٣) حمزة تزورتزس: باحث مسلم من أصل يوناني، أسلم في عام ٢٠٠٢م، ناظر ملحدين معروفين مثل لورنس كراوس. (ويكيبيديا).

(٤) التابوهات: جمع كلمة (تَابُو)، وهو مصطلح فلسفي يعبر عما لا يجوز انتهاكه، أو ما يَحرُم مسّه أو الاقتراب منه.

له مبررًا أخلاقيًا يمنعه، مؤكدًا أنه لا يرى مشكلة إذا كان كل واحد منهما يحب الآخر، وكان ذلك لمرة واحدة مثلًا، ومع ضمانات ألّا يكون هناك حمل [١].

وعلى ذلك؛ فإن معيار الأخلاق عند **كراوس** يكمن في تحقيق المنفعة، فهي المبدأ الذي نحكم من خلاله على أي فعل بالتحسين أو التقبيح تبعًا لرغبة الفرد وميوله.. فأصبح الإنسان – في ظل هذا المذهب – مجرد عبد للمنفعة، يجري وراء لذاته وشهواته، دون أن يفكر في الغاية التي يبتغيها من وراء ذلك![٢].

لا يأبه هذا ومن سار على نهجه أن "التبرير النفعي البراغماتي للأخلاق يفقد القيم الأخلاقية قيمتها المطلقة، ويفقدهم مبرر هذه الصلابة الأخلاقية التي يظهرونها والحماسة الكبيرة في دعوتهم لقيمهم الأخلاقية بما يشعر المتلقي أنهم يدافعون عن رؤى كونية مطلقة، واستقراء طريقتهم في نقد الممارسات الأخلاقية التي لا يميلون إليها تكشف عن هذه القضية بوضوح شديد" [٣].

ويضاف إلى ذلك أنه من الممكن تحقيق منفعة في أفعال غير أخلاقية، كالكذب، كما يمكن إلحاق الضرر في بعض الأفعال ومع ذلك تكون أفعالًا أخلاقية، كالتضحية بالنفس من أجل الآخرين، لذلك تساءل **د. جون لينكس**: كيف تستطيع في عالم مادي أن تفسر لي عدم خيانتك لزوجتك؟ وكيف تفسر أمانتك في العمل؟ بل ما هو الدافع المادي لديك مثلًا للمخاطرة بنفسك لإنقاذ طفل يغرق؟ هل يمكن الإجابة عن هذه الأسئلة؟! [٤].

---

(١) ينظر: ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق (ص ١٥٤)، شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٨).

(٢) المشكلة الخلقية، زكريا إبراهيم، (ص ١٥١)، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٩م.

(٣) شموع النهار، مرجع سابق (ص٦٠).

(٤) ينظر: كيف تناظر ملحدًا؟ مرجع سابق (ص٣٥٠)، أقوى براهين د.جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، مرجع سابق (ص٥٠٧-٥٠٨).

بالتأكيد سيقف الإلحاد عاجزًا تمامًا، وغير قادر على تقديم إجابة مقنعة لهذه الأسئلة.

هذا، وتحقق المنفعة وانتفاء الضرر إنما هي تعبير عن صور الحياة السعيدة بالمفهوم المادي، وليست من المسائل الأخلاقية أصلًا، فهناك فرق كبير بين الحياة الأخلاقية والحياة السعيدة، "والمقارنة بين الحياة الحسنة والحياة السيئة ليست مقارنة أخلاقية بين الحياة الخيرة أخلاقيًا والحياة الآثمة أخلاقيًا، بل هي مقارنة بين الحياة السعيدة والحياة البائسة، وليس هناك أي سبب للمساواة بين السرور والبؤس، والخير والشر"(١).

نعم، لا يستطيع أحد أن ينكر السلوك الإنساني فيما يتعلق بالميل نحو تحقيق اللذة والمنفعة، ودفع الضرر والألم، ولكننا ننكر أن يكون ذلك معيارًا للأخلاق، وإلا لما وجد أيٌّ واحد منا صعوبة في أن يكون صاحب قيم وأخلاق، ولكن "الشعور الخلقي لا يلبث أن يثير في أنفسنا الكثير من الشكوك حول قيمة اللذة في توجيه سلوكنا وهداية ضمائرنا، وحينما يتحقق الإنسان من أن حساب اللذات عاجز عن تحقيق التوازن النفسي لصاحبه، وأن حياة اللذة لا يمكن أن تفضي إلا إلى حالة أليمة من التشتت الروحي أو التمزق النفسي، فهناك لا بد من أن يتولد لديه إدراك واضح لعجز اللذة عن تفسير نفسها بنفسها، واقتناع تام بقصور مبدأ اللذة عن توجيه السلوك الإنساني كله"(٢).

إذا تقرر ذلك، فإنه يظهر لنا أن تلك المذاهب الإلحادية لم تستطع أن تقدم فهمًا شاملًا للأخلاق؛ لأنها رأت أن كل نشاط إنساني حادث طبيعي يجري مجرى الوقائع الخاضعة لحتمية القانون الطبيعي.

---

(١) الإلحاد بين قصورين، مرجع سابق (ص٥٢).

(٢) المشكلة الخلقية، مرجع سابق (ص ١٢٠)، مقدمة في علم الأخلاق، محمود حمدي زقزوق، (ص ٨٢)، دار القلم، الكويت، ط/ ٣، ١٩٨٣م.

وعلى النقيض من ذلك، ففي التصور الإسلامي نجد القيم الأخلاقية مستمدة من المثالية الإلهية، الأمر الذي جعلها تملك ثوابت ومعايير متعلقة بالسلوك الإنساني؛ لبيان مفاهيم الصواب والخطأ، وإخبار الإنسان بما ينبني عليها من ثواب وعقاب.. وقد تحققت هذه المعايير من خلال معرفة الوحي؛ "إذن، ليس إلى الرأي والهوى، وليس إلى العقل البشري بلا قاعدة ولا ضابط، وليس إلى المصلحة كما يتصورها الناس غير محكومة بأصل من دين الله، وليس إلى أي اعتبار آخر غير اعتبار واحد هو الوحي المعصوم"[1].

١) القيم الحضارية في الإسلام، مرجع سابق (ص١٠٢).

المبحث الرابع

مآلات فلسفة الأخلاق عند الملحدين الجدد

لقد آلت نظرية الأخلاق وفلسفتها عند الملحدين الجدد إلى جملة من الأمور والدعاوى الفارغة عن مضمونها، منها:

أولاً: الانقطاع عن هداية السماء:

فقدت منظومة الأخلاق تحت مظلة تلك الفلسفة العبثية الوازع الديني والالتزام الأخلاقي، بسبب تبنيها نماذج أخلاقية فوضوية قائمة على الهوى ومنازعة الدين، وإنزالها منزلة المثُل العليا، وأصبحت سعادة الإنسان مرتبطة بهذه الحياة فقط، فليس وراءها حياة أخرى، فكثر التخبط والتفلت بسبب البحث عن سبل للترقي بالإنسان بعيدًا عن هداية السماء، التي تدبر أمره وتيسر شؤونه، "ولا تخص صلاح الفرد الواحد، ولا الأمة الواحدة، وإنما تبتغي صلاح البشرية قاطبة، بل تبتغي صلاح جميع المخلوقات التي في العالم" (١).

ولا شك بأن الوازع الديني هو الحصن الوحيد للوقاية من الانحرافات الأخلاقية التي قد تواجه بعض أفراد المجتمع، وعندما يغيب هذا الوازع يغيب معه الأمن والأمان والاستقرار.

ثانيًا: التطرف العقلاني والانجراف الشهواني:

لقد أنتجت لنا فلسفتهم تطرفًا عقلانيًا وخطابًا غير متوازن تمامًا في معالجة المسألة الأخلاقية، مما أدى إلى تصادم العقل مع نفسه ومع بقية الكائنات؛ فأهدروا إنسانية الإنسان وعقله وعلاقته بأخيه الإنسان..

---

(١) سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، طه عبد الرحمن، (ص ١٥٨)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.

ولقد ولَّد هذا التطرف العقلاني تطرفاً شهوانيًّا، فأصبح الإنسان – في ظل هذه الفلسفة – كلّ أمله أن يشبع ذاته بما تريد من لذّات، فاستساغ كل منكر مرفوض من اغتصاب أو خيانة زوجية أو زنا المحارم أو غير ذلك من الشذوذ الخلقي والطبعي للنفوس، فحولوا عالم غيب الإنسان إلى عالم طبيعة الإنسان، لتوجد جنة مزعومة في الدنيا بديلة للجنة الأخروية، قوامها المتعة واللذة والحرية المطلقة، فلم يكن ثمة قيمة ولا مقصد لذلك الإنسان المتميز عن سائر الحيوانات [١].

لذلك نجد أن الأمر قد انقلب إلى نقيضه، حيث رأى بعض أصحاب مذهب المنفعة أن تحصيل اللذة والمنفعة مستحيل؛ لذا بات من الخير أن نتخلص من الحياة بالانتحار، لنتعافى من متاعب الحياة وبؤسها وآلامها بالموت الذي لا ألم بعده – على زعمهم –[٢].

وبالفعل ففي دراسة حديثة تبين أن عدد المنتحرين سنويًّا قرابة مليون شخص في مختلف أنحاء العالم، وأكبر معدلات الانتحار بحسب الإحصائيات التي توفرها منظمة الصحة العالمية وغيرها تشهدها دول ملحدة وعلمانية[٣].

ما سبق يقودنا بالطبع إلى القول بأن الإلحاد والتطرف وجهان لعملة واحدة.

ثالثًا: ضمور المرجعيةِ الإنسانية:

لقد أدى القول بنسبية الأخلاق إلى ضمور واختفاء المرجعيةِ الإنسانية، واضمحلال الجانب الروحي الذي يجعل الإنسان إنسانًا، الأمر الذي أدى إلى

---

(١) يراجع: القيم بين الثبات والنسبية (ص٣٩٣).

(٢) يراجع: تاريخ الأخلاق، (ص ١٠٢)، فلسفة الأخلاق، (ص ٥٢).

(٣) يراجع: الوقاية من الانتحار ضرورة عالمية، منظمة الصحة العالمية، سنة ٢٠١٤م.

هيمنة العدمية التي تقضي على ذلك المخلوق الذي كرمه الله تعالى بالعقل والروح معًا، فمآله إما التحول إلى كائن مسخ ليصبح كالحيوان أو أضل، وإما الاختفاء من الوجود نتيجة تأثير أخلاق الصيرورة والنسبية التي تتبناها أمثال تلك الفلسفات، والتي تقوم على الفكر الواحد والأمر الواقع.

قال ابن خلدون: "وإذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته، وصار مسخًا على الحقيقة وبهذا الاعتبار"(١).

رابعًا: فوضوية الألفاظ والتلاعب بها:

وقد أشار إلى ذلك ويليام لان كريغ في مناظرته مع سام هارس حول المسألة الأخلاقية، إذ يقول: "فهو ــ أي: هارس ــ يعيد تعريف كلمة (خير) لتصبح (رخاء الكائنات الواعية)، ولذلك فإن سؤال: لماذا تعتبر زيادة رخاء الكائنات أمرًا خيرًا؟ يعادل وفق تعريفه الجديد سؤال: لماذا تعتبر زيادة رخاء الكائنات زيادة في رخاء الكائنات؟ إنه مجرد حشو، إنه مجرد الحديث في دوائر مفرغة! وهكذا حل هارس مشكلة القيم بإعادة تعريف مصطلحاته فقط، وهذا مجرد تلاعب بالألفاظ" (٢).

فـــ "هارس" لم يقدم معيارًا موضوعيًا لقياس هذا الرخاء، فإذا عرّفنا رخاء الكائنات بأنه ما يزيد من رخاء الكائنات، فإننا بذلك لا نقدم تفسيرا جديدًا، بل نعيد صياغة الفكرة بشكل معاد ومكرر، وهو ما يعرف بالدور.

وبذلك تتحول الفوضوية من الأخلاق إلى الألفاظ ودلالاتها، مما يعني: غياب وسائل التواصل وآليات التفاهم بين الناس، إلا إذا طغت قيم الاستعباد، وهيمنت أخلاق الاستبداد.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، (ص ٣٧٤)، دار القلم-بيروت، ١٩٨٤ م.

(٢) الإلحاد بين قصورين، (ص٢٥).

خامسًا: تفشي ظاهرة العنصرية:

إن القول بنسبية القيم أدى إلى العنصرية وهيمنة القوة الغالبة، كما يظهر في فكرة "شعب الله المختار" للسيادة على العالم، واستعباد من عداهم من البشر، وإلههم لا يسمح لغيرهم باعتناق اليهودية فيما يرون، والتعامل مع القيم داخل منظومة معينة، مثل: "نحن أبناء الله وأحباؤه"، واختفاء القيم خارج هذه المنظومة، كما في القول: "ليس علينا في الأمميين سبيل"، هذا كله يعد دليلًا على الانتقائية والعنصرية القيمية التي نادرًا ما تُوجد في مجتمع يحرص على حقوق الإنسان [1].

هذا، وما ذكرت إنما هو بعض المثالب التي آلت إليها تلك الفلسفة، وكأنها عمدت إلى تلك الفلسفات لتصل إلى تلك النتائج التي تبتغي من ورائها نمذجة جديدة لعالم لا مكان فيه للأخلاق سوى أخلاق الصيرورة والفردية والتمركز حول الذات.

---

١) ينظر: القيم بين الثبات والنسبية (ص ٣٩٤)، الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، (ص ١٨٧)، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي – بيروت.

خاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد...

فقد وفّق الله ﷻ وأعان على إتمام هذا البحث على الوجه الذي تمّ عليه، وفي نهايته أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله، ويمكن إيجازها فيما يأتي:

١- إن ما يسمى بالإلحاد الجديد ليس جديدًا، بل الجديد هو إثارة عاصفة عن طريق تركيز ناشرين كبار على طباعة وتسويق عدد كبير من الكتب، حتى قرأها الملايين، واحتلت قوائم أعلى المبيعات، بالرغم من تواضع ما طرحته من حجج وبراهين، وأشد الجديد ظهورًا هو مهاجمة الممارسات الإسلامية، بل الإسلام ذاته.

٢- أن هذه الفكرة لم تخرج إلى المجتمع عبر طرق التفكير العقلي السليم، وإنما جاءت كردّ فعل متشدد تجاه الأحداث التي وقعت، كأنها سيقت على نحو عاطفي بعيد عن التفكير المنطقي المبني على أسس ومقدمات عقلية منطقية، ومن يرغب في معرفة كيفية تكوين مثل هذه الحركات يمكنه الرجوع إلى كتاب: (سيكولوجيا الجماهير).

٣- أظهر الملحدون الجدد عجزًا حقيقيًّا عن الإجابة على السؤال الوجودي للأخلاق رغم كثرة محاولاتهم، وتعرضوا لوابل من السخرية والاستهزاء وسيل من الاحتقار والازدراء؛ نتيجة للأسلوب الوقح المتدني الذي جعل أقرانهم يصفونهم بأنهم سفسطائيون مزيفون للحقائق.

٤- تكمن خطورة النظرية الإلحادية الجديدة في اعتقادها بأمرين:

الأول: هو أن الإله وهم.

والثاني: هو أن العلم وحده قادر على الإجابة على الأسئلة الأخلاقية.

وبناء على هذين الأمرين آلت الأخلاق عندهم إلى مجرد وقائع علمية تمليها عليها القوانين الطبيعية، أو الحتميات العضوية أو الاجتماعية، على الرغم من استحالة تقديم رؤية فلسفية للجانب الأخلاقي تحت مظلة هذه الرؤية المادية؛ إذ البحث في هذا الجانب ميتافيزيقي بحت متجاوز الإطار المادي بما فيه، لا دخل فيه للإنسان أو لعلوم الإنسان؛ لذلك باءت المحاولة الإلحادية في تأسيس الأخلاق الموضوعية المطلقة بالفشل الذريع.

٥- حُصرت الأخلاق عند هؤلاء الملاحدة في تحقيق اللذات وإشباع النزوات بدون تفرقة بين رغبات الأفراد أو الجماعات؛ فأنتجت لنا إنساناً قلقًا متشائمًا آمن بإنكار كل شيء من أجل لا شيء.

٦- تخبط الملاحدة في تحديد معيار القيم الأخلاقية تخبطًا لا يمكن رأب صدعه، ولا شك أن تحديد القيم على تلك المقاييس التي اعتمدوها تجعل الفرد يستبد بذاتيته، طالما أنه لم يعد هناك مصدر أعلى للإلزام الخلقي يهيمن على الإنسان ويخضعه له..؛ لذا خرجت منظومة الأخلاق عند هؤلاء عن جادة الاستقامة.

٧- رفضت منظومة الأخلاق في الإسلام كل ما من شأنه أن يسلب من الإنسان إنسانيته باستذلاله واستعباده، فقدمت موازين تضبط السلوكيات، ويهتدى بها في معرفة الحقوق والواجبات، وتحفظ الأفراد والمجتمعات؛ لتبلغ الغاية في وصل الإنسان بخالقه ﷻ، والكمال في علاقته بأخيه الإنسان، وتحقيق دوره في تعمير الكون بالعلم والعمل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المراجع

- الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، د. حمدي عبد العال، دار القلم، ط/ ١، ١٤٠٥-١٩٨٥م.
- الأخلاق، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، ٢٠١١م.
- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، الشيخ عبد الرحمن السعدي، الرياض ١٩٨٢م.
- الأعمال الكاملة، رفاعة الطهطاوي، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، بيروت، ١٩٧٣م.
- أقوى براهين د.جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، جمعه وعلق عليه م.أحمد حسن، مركز دلائل الرياض-السعودية، ط/ ١، ١٤٣٧هـ.
- الإلحاد بين قصورين، حقيقة الإلحاد بين القصور الأخلاقي والقصور المعرفي، ترجمة مناظرة ويليام لان كريغ وسام هاريس، ترجمة د. مؤمن الحسن، د. عبد الله الشهري، مركز دلائل-الرياض، ط/ ٢، ١٤٣٧هـ.
- الإلحاد يسمم كل شيء، د. هيثم طلعت، تقديم/ عبد الباسط قاري، نيو بوك-القاهرة، ط/ ١، ٢٠١٥م.
- الإنسان ذلك المجهول، ألكسي كاريل، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٧٤م.
- تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، ط/ ٥، ١٩٨٤م.
- ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، عبدالله الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات-بيروت، ط/ ١، ٢٠١٤م.
- حوار ساخن عن الإلحاد، هادي المدرسي، مركز الفكر الرسالي للدراسات والأبحاث، ط/ ١، ١٤٣٨-٢٠١٧م.

- خرافة الإلحاد، د. عمرو شريف، مجلة الشروق الدولية، ط/ ١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م
- الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي – بيروت.
- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم-الكويت، ١٣٩٣-١٩٧٣م.
- دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة. د.ت.
- الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم، بيروت، ٢٠٠٧م.
- السنن الكبرى، البيهقي، ت/ محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/ ٣، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م.
- سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- شموع النهار إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي، عبد الله بن صالح العجيري، مكتبة مؤمن قريش، ط/ ١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- طلاسم نجسة الإلحاد وإهانة الجنس البشري، محمد الهبيلي، مداد للنشر والتوزيع-دبي، ٢٠١٧م.
- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، ط/ ١، ١٤٢٣-٢٠٠٢م.

- العمل الديني وتجديد العقل، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي- بيروت، ط/ ٤، ٢٠٠٦م.
- الفلسفة أنواعها ومشاكلها، هنتر ميد، ترجمة فؤاد زكريا، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط/ ٢، ١٩٧٥م.
- قرار الإيمان، جون جاك روسو، ترجمة/ نجيب المستكاوي، دار المعارف- مصر، ط/ ١، ١٩٥٤م.
- القيم الحضارية في الإسلام، محمد عبد الفتاح الخطيب، دار البصائر، ط/ ١، ٢٠١١م.
- القيم بين النسبية والثبات دراسة في المصادر والنتائج، د. محمد نجدي حامد، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، العدد ٣٦، ٢٠٢٠م.
- كتاب المساكين، مصطفى صادق الرافعي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م.
- كهنة الإلحاد د. هيثم طلعت، نيو بوك للنشر والتوزيع، ط/ ١، القاهرة، ٢٠١٧م.
- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصر، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط/ ٢، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- كيف تناظر ملحدا؟ إحصاء لإشكالات الملاحدة وبيان لكيفية الإجابة عليها، المؤلف: أ.د. نور الدين أبو لحية، الناشر: مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، ط/ ١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- مبادئ الإلزام الخلقي عند روسو، محمد منيرة، مجلة دامعة دمشق، المجلد رقم ١٨، ٢٠١٢م.
- مجلة براهين الإلكترونية لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية من منظور علمي فلسفي شرعي، العدد التجريبي يونيو ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، دورية فصلية دورية.
- المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظم، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.
- المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر، د. جارودي، ترجمة د. محمد غلاب ومراجعة د. إبراهيم بيومي مدكور-ط الأنجلو ١٩٥٨م.
- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ترجمة: عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكري، دار الشعب-القاهرة، ١٩٧٩م.
- المشكلة الخلقية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٩م.
- مصير الإنسان، كونت دي نوي، ترجمة خليل الجر، المطبعة البوليسية، دار جونية، لبنان، ١٩٦٧م.
- مقالات وفتاوى الشيخ الدجوي (ت ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٨١م.
- مقدمة في علم الأخلاق، محمود حمدي زقزوق، دار القلم، الكويت، ط/ ٣، ١٩٨٣م.
- ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث، ط/ ٢، ١٤٣٥-٢٠١٤م.
- نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الربيع بن ميمون، الجزائر، ١٩٨٠م.

- نفسية الإلحاد، د/ بول سي فيتز، ترجمة/ مركز دلائل، ط/ ٢، ٢٠١٣م.
- الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفني، الدار المصـــرية، ط/ ١، ١٩٦٤م.
- وهم الإلحاد، أ.د/ عمرو شريف، تقديم أ.د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر لشهر المحرم سنة ١٤٣٥هـــ.
- وهم الشيطان الإلحاد ومزاعمه العلمية، ديفيد بيرلنسكي، ترجمة/ عبد الله الشهري، مركز دلائل، ط/ ١، ١٤٣٧هـــ.
- موقع ويكيبيديا. https://ar.wikipedia.org
- منتدى التوحيد. https://www.eltwhed.com/vb/showthread.php

References

- *Al-Falsafah Anwauhaw a Mashakiluha*, Hunter Mead, Translated by Fouad Zakaria, Nahdet Misr for Printing and Publishing, Cairo, 2nd edition, 1975AD.
- *Qarar Al-Iman*, John Jacques Rousseau, translated by/ Najeeb Al-Mistakawi, Dar Al-Maarif - Egypt, 1st Edition, 1954AD.
- *Al-Qiyyam Al-Hadariyyah fi Al-Islam*, Mohammed Abd El- Fattah Al-Khatib, Dar Al-Basair, 1st Edition, 2011.
- *Al-Qiyyam Byan An-Nisbiyyah wa Ath-Thabat Dirasah fi Al-Masader wa An-Nataej*. Mohammed Najdi Hamed, Research published in the Journal of the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Alexandria, Issue 36, 2020AD.
- *Kitab Al-Masakin*, Mustafa Sadiq Al-Rafie, Hindawi Foundation, 2014AD.
- *Kahanat Al-Ilhad*, Dr. Haitham Talaat, New Book for Publishing and Distribution, 1st Edition, Cairo, 2017AD.
- *Kawashef Zayouf Al-Mazaheb Al-Fikriyyah Al-Muasirah*, Abd Al-Rahman Habankah, Dar Al-Qalam, Damascus, 2nd Edition,1412AH-1991AD.
- *Kayfa Tunazer Mulhidan? Ihsaa li Ishkalat Al-Malahidah wa Bayan li Kayfiyat Al-Ijabah Anha*, Dr. Nour Al-Din Abu Lihiya, Al-Irfan Foundation for Islamic Culture, 1st Edition,1439AH-2018AD.
- *Al-Lughah wa Al-Majaz Byan At-Tawheed wa Wihdat Al-Woujoud*, Abdul Wahab Al-Masiri, Dar Ash-Shorouk, Cairo, 2002Ad.
- *Mabadea Al-Ilzam Al-Khuluqi inda Rousseau*, Muhammad Munira, Damascus Damieah Journal, Volume 18, 2012AD.
- *Al-Madkhal li As-Sunan Al-Kubra*, Bayhaqi, Dar Al-Khulafaa li Al-Kitab Al-Islami – Kuwait.
- *Al-Mushkilah Al-Akhlaqiyyah wa Al-Fikr Al-Muaser*, Dr. Jaroudi, translated by Dr. Mohammed Ghallab - Anglo Edition 1958AD.

- *Masir Al-Insan*, Count de Nuit, Translated by Khalil Al-Jar, Police Press, Dar Jounieh, Lebanon, 1967AD.
- *Militia Al-Ilhad Madkhal li Fahm Al-Ilhad Al-Jadid* , Abd Allah Al-Ujairi, Takween for Studies and Research11, 2ndEdition, 1435AH-2014AD.
- *Nafsiyyat Al-Ilhad*, Dr. Paul C. Fitz, Translation/Dalaeal Center, 2ndEdition, 2013AD

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص
٢	المقدمة
٣	تمهيد نشأة الإلحاد الجديد، وأبرز أعلامِه
٤	المبحث الأول الأخلاق في الفلسفة الإلحادية
٥	المبحث الثاني مصدر الأخلاق عند الملحدين الجدد
٦	المبحث الثالث معيار الأخلاق
٧	المبحث الرابع مآلات فلسفة الأخلاق عند الملحدين الجدد
٨	الخاتمة
٩	المصادر والمراجع